البِنْيَةُ وَآلِيَّاتُ النِّظَامِ اللُّغَوِيِّ
دِرَاسَةٌ صَوْتِيَّةٌ صَرْفِيَّةٌ

دكتور/ هانئ إبراهيم الدسوقي عبد الوهاب الوكيل

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية

كلية العلوم الإدارية والإنسانية ، جامعة الجوف

المملكة العربية السعوية حاليًا

ومدرس النحو والصرف

قسم اللغة العربية – كلية التربية – جامعة عين شمس

مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ ، والصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى أَشْرَفِ رُسُلِه سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَ عَلَى آله وَصَحْبه وَتَابعيهمْ بإحْسَان إِلَى يَوْم الدِّين ، أَمَّا بَعْدُ

فَهَذَا بَحْثٌ بعُنْوَان : « البِنْيَةُ وَآلِيَّاتُ النِّظَام اللُّغَوِيِّ ، دراسَةٌ صَوْتيَّةٌ صَرْفِيَّةٌ ».

وَالْبِنْيَةُ « **Structure** » مَفْهُومٌ عَربيٌّ أَصيلٌ يَسْبقُ مَانَجدُهُ في اللِّسَانيَّات الْبِنْيَويَّة الْحَديثَة ، وَعَلَى الرُّغْم منْ تَعَدُّد مَفَاهيم الْبِنْيَة ؛ فَهُنَاكَ بِنْيَةُ الْكَلمَة ، وَبِنْيَةُ الْجُمْلَة ، وَبِنْيَةُ النَّصِّ ، فإنَّهُ تَعَدُّدُ اتِّسَاع لَا تَنَاقُضَ فيه ، جَاءَ في اللِّسَان :" يُقَالُ : بِنْيَةٌ ، وَهْيَ مثْلُ رشْوَة وَرشًا ، كَأَنَّ الْبِنْيَةَ الْهَيْئَةُ الَّتي بُنيَ عَلَيْهَا ، مثْلُ الْمشْيَة وَالرِّكْبَة ... يُقَالُ : بُنْيَةٌ وبُنًى ، وَبِنْيَةٌ وَبِنًى ."[1]

وَمَعْلُومٌ أَنَّ بِنْيَةَ الْكَلمَة عنْدَ نُحَاة الْعَرَبيَّة تَعْني صيغَتَهَا ، أَوْ وَزْنَها ، أَوْ هَيْئَتَهَا الْمُتَمَثِّلَةَ في عَدَد حُروفهَا الْمُرَتَّبَة أَصْليَّةً كَانَتْ أَوْ زَائدَةً ، وَحَرَكَاتهَا الْمُعَيَّنَةَ وَسُكُونَهَا.[2]

بَيْنَمَا تَرَى اللِّسَانيَّاتُ الْبِنْيَويَّةُ الْحَديثَةُ أنَّ البِنْيَةَ نظَامٌ يَقُومُ عَلَى قَوَانينَ دَاخليَّة تَرْبطُ بَيْنَ مُكَوِّنَاته ، وَتَتَحَكَّمُ فيهَا دُونَ الرُّجُوع إِلَى عَنَاصرَ خَارجيَّةٍ ؛ فَهْيَ كيَانٌ مُسْتَقِلٌ

---

[1] لسان العرب – ابن منظور : (بنى) ٣٦٥/١ [تحقيق علي الكبير وآخرين – دار المعارف – القاهرة – بلا تاريخ]

[2] انظر : شرح الرضي على الشافية : ١ / ٢ ، والمدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم المعاصر – عبد الرحمن الحاج صالح ، محاضرة في ندوة (تقدم اللسانيات في الأقطار العربية) ، إبريل – ١٩٨٧ م – الرباط – هامش صفحة ٣٧٣ .

منَ العلَاقَات الدَّاخليَّة الَّتي تُكَوِّنُ كُلًّا لَا يَتَجَزَّأُ ؛ فَهْيَ تُشَكِّلُ وَحْدَةً مُسْتَقِلَّةً بَيْنَ عَنَاصـــرِهَا الْمُكَوِّنَة ، وبَيْنَهَا تَرَابُطٌ دَاخِلِيٌّ تَحْكُمُهُ قَوَانِينُهُ الخَاصَّةُ [1]، والتَّشَابُهُ وَاضِحٌ بَيْنَ الْمَدْلُولَيْن.

أَمَّا الآليَّةُ « **mechanism** » فَهْيَ اسْمٌ مَنْسُوبٌ مُؤَنَّثٌ إِلَى « آلَة » ، أَوْ مَصْدَرٌ صنَاعيٌّ منْ « آلَة »[2] ، ونَعْني بهَا الإِجْرَاءَاتِ وَالْوَسَائِلَ الَّتِي تَضْمَنُ تَحقِيقَ أَهْدَاف الْعَمَل ، أَوْ الالْتزَامَ بعَمَلِيَّة مُعَيَّنَة .

ويَذْهَبُ كَثيرٌ منَ اللُّغَويِّينَ الْمُعَاصرينَ إِلَى أَنَّ « **فردينان دي سوسير F.de Saussure** » كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَنَبَّهَ إِلَى أَنَّ للُّغَة نظَامًا لَهُ قَوَاعدُهُ الخَاصَّةُ وَفْقَ أُسُس اتِّفَاقيَّة اصْطلَاحيَّة في كتَابه « **محاضرات في علم اللغة العام Cours de La Linguistique générale** » ، إِذْ فَرَّقَ بَيْنَ مَا يُمْكنُ تَسْميَتُهُ باللِّسَان « **Langue** » ، ومَا يُمْكنُ تَسْميَتُهُ بالْكَلَام « **La Parole** » [3]، ويَقْصدُ باللِّسَان أَنْوَاعَ الأَنْظمَة ، وَأَنْمَاطَ الأَبْنيَة ، أَمَّا الكَلَامُ فَتُمَثِّلُهُ الْمَنْطُوقَاتُ الفعْليَّةُ نَفْسُهَا ، وعَلَى حين يَتَّصفُ اللِّسَانُ بأَنَّهُ اجْتمَاعيٌّ ، ومُجَرَّدٌ ، ومُسْتَقلٌّ عَن الْفَرْد ، فإِنَّ الْكَلَامَ يَتَوَقَّفُ عَلَى الإِرَادَة والذَّكَاء عنْدَ الْفَرْد[4]

وَهْوَ الإِطَارُ الَّذي مَهَّدَ لظُهُور مُصْطَلَح النِّظَام اللُّغَويِّ ، فَكُلُّ لسَان لَابُدَّ منْ تَصوُّره عَلَى أَنَّهُ نظَامٌ منَ العَنَاصر الْمُتَرَابطَة في مُسْتَوَيَاتها الصَّوْتيَّة وَالصَّرْفيَّة وَالنَّحْويَّة وَالدَّلَاليَّة وَالْمُعْجَميَّة ، لَا عَلَى أَنَّهَا كيَانَاتٌ مُسْتَقلَّةٌ بذَاتهَا ، ونَعْني بهَذَا النِّظَام تلْكَ الْمَجْمُوعَةَ منَ القَوَانين وَالعلَاقَات الَّتي تَنْتَظمُ الْجُزْئيَّات والْعَنَاصرَ اللُّغَويَّةَ الْمُرْتَبطَةَ بنَسيج منَ الْعلَاقَات الدَّاخليَّة الْمُنَظِّمَة ، وَهْوَ مَا شَبَّهَهُ « **دي سوسير** » برُقْعَة الشِّطْرَنْج ، فَكُلُّ قطْعَة عَلَى هَذه الرُّقْعَة تَحْملُ قيمَةً في ذَاتهَا ، وتَلْعَبُ منْ خلَالهَا دَوْرًا مُحَدَّدًا عَلَى هَذِهِ الرُّقْعَةِ ، ولَا يُسْمَحُ لَهَا بلَعب دَوْرٍ غَيْرِه ؛ لِأَنَّ الأَدْوَارَ وَالوَظَائفَ تَتَبَايَنُ مَابَيْنَ

---

[1] البنوية في اللسانيات – محمد الحناش : ١٠٣ [دار الرشاد الحديثة – الدار البيضاء – المغرب – الطبعة الأولى – ١٤٠١ه / ١٩٨٠م]

[2] معجم اللغة العربية المعاصرة – الدكتور أحمد مختار عمر – المجلد الأول – عالم الكتب – القاهرة – الطبعة الأولـــى – ١٤٢٩ه – ٢٠٠٨م ، صفحة : ١٤٠

[3] انظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي – لأستاذنا الدكتور/ رمضان عبد التواب : ١٨٤ [مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الثالثة – ١٤١٧ه ، ١٩٩٧م]

[4] انظر : الألسنية أحدث العلوم الإنسانية – مجلة الفكر العربي – العددان ٩/٨ – طرابلس – يناير / آذار ١٩٧٩م .

عُنْصُر وَآخَرَ ، وَيُنَظِّمُ هَذه الأَدْوَارَ مَجْمُوعَةٌ منَ الْقَوَاعد وَالقَوَانين الَّتي تَوَاطَأَ عَلَيْهَا اللَّاعبُونَ ؛ فَهْيَ قَوَاعدُ اتِّفَاقيَّةٌ اصْطلَاحيَّةٌ .[1]

وَقَدْ أَسْهَمَ هَذَا التَّصوُّرُ في تَفْسير طَبيعَة النِّظَام اللُّغَويِّ فَقَدَّمَ لَنَا « اللِّسَانَ » عَلَى أَنَّه ذَلكَ النِّظَامُ التَّحْتيُّ الَّذي يَتَضَمَّنُ تلْكَ الأَنْمَاطَ والقَوَاعدَ الَّتي يَجبُ العَملُ عَلَى اكْتشَافهَا وَوَصْفهَا وَتَصْنيفهَا ، كَمَا فَسَّرَ لَنَا ذَلكَ التَّنَوُّعَ الفَرْديَّ للُّغَة منْ خلَال تَصوُّره للكَلَام ، وَقَدْ أَسْهَمَتْ هَذه التَّفْرقَةُ بَيْنَ اللِّسَان والْكَلَام في تَشْكيل وَعْي جَديد لَا يَنْظُرُ إلَى اللُّغَة في إطَار كَوْنهَا كَائنًا عُضْويًّا يَتَطَوَّرُ بصُورَة مُسْتَقلَّة ، بَلْ بوَصْفهَا نتَاجَ عَقْل جَمْعيٍّ ، وَتَخْضَعُ دَائمًا لمَجْمُوعَة منَ الْمُعَالَجَات الَّتي لَا تَكَادُ تَتَوَقَّفُ ، وَلَعَلَّ الْمُنْطَلَقَ الَّذي تَعَامَلَ منْ خلَاله عُلَمَاؤُنَا الْقُدَامَى الأَجلَّاءُ يَكَادُ يَتَّفقُ مَعَ ذَلكَ التَّصوُّر الثُّنَائيِّ الَّذي قَدَّمَهُ لَنَا « **F.de Saussure** » حَوْلَ اللُّغَة وَمُكَوِّنَاتهَا (اللِّسَان / الكَلَام) ، وَهْيَ تَصوُّرَاتٌ علْميَّةٌ صَحيحَةٌ لَكنَّهَا تَنَاثَرَتْ في ثَنَايَا كُتُب الْقُدَمَاء ، وَلَمْ تَجدْ ذَلكَ الخَيْطَ الَّذي يَنْتَظمُهَا في إطَار نَظَريَّة لُغَويَّة علْميَّة عَامَّة بالْمَفْهُوم الَّذي قَدَّمَهُ « **F.de Saussure** » .

وَمنَ الثَّابت أَنَّ اللُّغَات الإنْسَانيَّةَ بشَتَّى مُسْتَوَيَاتهَا وَمُحْتَوَيَاتهَا ، تَسْمَحُ بتَخْليق أَشْكَال لَا يُمْكنُ حَصْرُهَا منْ أَنْمَاط التَّعْبير وَصُوَره في إطَار مَا تَسْمَحُ به قَوَاعدُهَا الـمُنَظِّمَةُ ، وَعَلَى الرُّغْم منْ أَنَّهَا قَدْ صَدَرَتْ عَنْ أَصْل وَاحد ، فَإنَّ الْعَربيَّةَ قَدْ اتَّخَذَتْ لنَفْسهَا مَسَاربَ مُخْتَلفَةً وَفْقًا لاخْتيَارَاتهَا الـمَائـزَة الَّتي تَعْكسُ طَبيعَتَهَا وَخَصَائصَهَا وَدَرَجَةَ تَطَوُّرهَا .

فَأَصْوَاتُ أَيَّة لُغَة لَيْسَتْ مُجَرَّدَ عَنَاصرَ مُتَنَاثرَة ، بَلْ هيَ نظَامٌ مُتَّسقٌ تَحْكُمُهُ مَجمُوعَةٌ منَ العلَاقَات الخَاصَّة المتَشَابكَة الَّتي تُميِّزُ هَذه اللُّغَةَ أَوْ تلْكَ ، والَّتي تُحدِّدُ مَا يَجُوزُ ائْتلَافُهُ ، وَمَا لَا يَجُوزُ .

فَمنَ المعْرُوف أَنَّ لكُلِّ لُغَة منْ اللُّغَات نظَامَهَا الخَاصَّ الَّذي يَحْكُمُ أُطُرَ السَّلَاسل الصَّوْتيَّة الـمُتَقَبَّلَةَ فيهَا ، منْ حَيْثُ تَتَابُعُ أَصْـوَات بعَيْنهَا ، أَوْ مَقَاطعَ مُعَيَّنَة ، وَذَلكَ في إطَار مَا يُسَمَّى « بالصّوْتيَّات التَّجْميعيَّة **Combinatory Phonetics** » ، أَوْ مَا يُسَمَّى « بصَوْتيَّات الفَصْل وَالوَصْل **Phonetics of Juncture** » إذْ إنَّ اللُّغَةَ "تَتَكَوَّنُ منْ وحْدَات صَغيرَة تَتَجَمَّعُ مَعَ بَعْضهَا الْبَعْض لتُكَوِّنَ وحْدَات أَكْبَرَ،

[1] انظر " علم اللغة العام " – فردينان دي سوسير – ترجمة يوئيل يوسف عزيز – مراجعة النص العربي – د / مالك يوسف المطلبي – دار آفاق عربية – بغداد – ١٩٨٥م – صفحة ٢٦ وما بعدها .

فَمَا نَسْمَعُهُ أَثْنَاءَ إِصْغَائنَا ، وَمَا يَصْدُرُ عَنَّا أَثْنَاءَ الكَلَام هُوَ سلَاسلُ «**Chains** » منَ الأَصْوَات قَدْ تَطُولُ ، وقَدْ تَقْصرُ لَكنَّهَا مُركَّبَةٌ دَائمًا ، وقَابلَةٌ للتَّحْليل إلى وحْدَات أَصْغَرَ ، فَالسوَّاكنُ تَتَّحدُ مَعَ الحرَكَات لتُكوِّنَ الــمقَاطعَ « **Syllabes** » ، وَالمقَاطعُ تُكوِّنُ مَجْمُوعَات «**Groups** » ، وَ أَشْبَاهَ جُمَل « **phrases** » ، وجُــملًا «**Sentences** » . وَأَثْنَاءَ تَجمُّع الأَصْوَات بهَذه الطَّريقَة فَإنَّهَا تُؤَثِّرُ بَعْضُهَا في بَعْض وَتَتَبَدَّلُ بطُرُق عَديدَة ."[1]

وفي هَذَا الإطَار ينْطَلقُ بَحْثُنَا منْ **فَرْضيَّة** مَفَادُهَا أَنَّه إذَا تَمَكَّنَّا منْ تَحَسُّس وَاقع اللُّغَة العَرَبيَّة فإنَّنَا سنَجدُ أَنَّهَا قَد اتَّخَذَتْ لنَفْسهَا مَسَارَات تَصْبغُ شَخْصيَّتَهَا دَاخلَ أُطُر مُحَدَّدَة وَفْقَ أَدَاء مُكَثَّف مُخْتَزَل يَحْرصُ عَلَى تَحْقيق أَكْبَر قَدْر منَ الْمَعَاني بوَسَائلَ تَعْبيريَّة مُيَسَّرَة ، وَبأَقَلِّ كَمِّيَّة منَ الجُهُود خلَالَ المعَالَجَات في مَرْحلَتَي التَّفْكير والصِّيَاغَة ، وَهُوَ مَا يُعَبَّرُ عَنْهُ بقَانُون الجُهْد الأَدْنَى[2]، أَوْ قَانُون السُّهُولَة والتَّيْسير ابْتغَاءَ التَّوْفير للجُهْدَيْن الذِّهْنيِّ وَالعَضَليِّ للمُتَكَلِّم .

وَمنْ خلَال دراسَة هَذه التَّوَجُهَات وَالإجْرَاءَات ، وَتَلَمُّس هَذه الخَصَائص في النِّظَام الأَصْليِّ للُّغَة العَرَبيَّة ؛ فَإنَّ هَذَا البَحْثَ **يَهْدفُ** إلَى تَسْليط الضَّوْء عَلَى التَّغْييرات الصَّوْتيَّة الصَّرْفيَّة وَمَوَاطنهَا في البنْيَة اللُّغَويَّة لأَلْفَاظ العَرَبيَّة ، منْ أَجْل تَتَبُّع العلَاقَات وَالرَّوَابط بَيْنَ مُسْتَوَيَات الدَّرْس اللُّغَويِّ الــمُخْتَلفَة ، بُغْيَةَ التَّوَصُّل إلَى فَهْم مُشْتَرَك تَتَّضحُ منْ خلَاله وَشَائجُ الاتِّصَال بَيْنَ تلْكَ الــمُسْتَوَيَات الَّتي لَا يَجُوزُ الفَصْلُ بَيْنَهَا فَصْلًا قَسْريًّا يُفْقدُهَا الحَيَويَّةَ ، وَالقُدْرَةَ عَلَى التَّجَدُّد ، كَمَا **يَرْمي** بَحْثُنَا إلَى تَتَبُّع التَّصَرُّفَات اللَّفْظيَّة للصِّيَغ العَرَبيَّة الــمُخْتَلفَة ، مــمَّا يُؤَكِّدُ فكْرَةَ النُّزُوع الدَّائم للنِّظَام اللُّغَويِّ في العَرَبيَّة إلى تَحْقيق أَعْلَى دَرَجَات الاقْتصَاد الصَّوْتيِّ في صيَاغَة أَلْفَاظه وَمُفْرَدَاته ، وَهُوَ مَا مَثَّلَ مَظْهَرًا منْ مَظَاهر الطَّاقَة التَّفْسيريَّة في الدَّرْس اللُّغَويِّ العَرَبيِّ فيمَا عُرفَ بـــ « **economy of efforts** » ؛ أَيْ الاقْتصَاد في الــجُهُود ، فَضْلًا عَنْ دراسَة أَثَر العَاملَيْن الصَّوْتيِّ والصَّرْفيِّ وَتَنَازُعهمَا عَلَى إحْدَاث التَّغْييرَات في بنْيَة الكَلمَات العَرَبيَّة ، في إطَار مَجْمُوعَة منَ **التَّسَاؤُلَات الَّتي حَاوَلَت الدِّرَاسَةُ الإجَابَةَ عَنْهَا** ، منْ بَيْنهَا : مَا الآلَيَّاتُ وَالإجْرَاءَاتُ الَّتي تَقفُ وَرَاء عَمَلَيَّاتِ التَّغْيير في الْبنْيَة ؟ وَهَلْ كَانَ

[1] الصوتيات ــ برتيل مالمبرج : ١١١ [ترجمة د / محمد حلمي هليّل ــ القاهرة ــ عين للدراسات والبحــوث الإنــسانية والاجتماعية ــ ١٩٩٤ م]

[2] انظر : محاضرات في الألسنية العامة – فرديناند دو سوسير : ١٨٠/١٨١

لهَذه التَّغْييرَات مَا يُبَرِّرُهَا ؟ ولَمَاذَا اعتَمَدَ النِّظَامُ اللُّغَويُّ هَذه الآليَّات دُونَ غَيْرهَا ؟ وَمَا دَوْرُ هَذه الآليَّات في تَشْكيل الْمَنْطق الدَّاخليِّ للنِّظَام اللُّغَويِّ للعَرَبيَّة ، وَإحْدَاث التناسق بين عناصره ؟ وَكُلُّ هَذَا منْ أَجْل الوُصُول إلَى رَصْد الآليَّات الَّتي سَلَكَهَا النِّظَامُ الأَسَاسيُّ للعَرَبيَّة في تَشْكيل الْبنْيَة ، وَالـمُصْطَلَحَات الَّتي تُعَبِّرُ عَنْ مَفَاهيمها اللُّغَويَّة الدَّقيقَة الـمُتَمَايزَة .

فَاللُّغَةُ كَظَاهرَة اجْتمَاعيَّة ، تَخْضَعُ لـمَا تَخْضَعُ لَهُ بَقيَّةُ الظَّوَاهر الاجتمَاعيَّة منْ تَغْيير مُسْتَمرٍّ،"وَلذَلكَ فَإنَّ اللُّغَةَ تُوصَفُ بأَنَّهَا ظَاهرَةٌ مُتَغَيِّرَةٌ وَمُؤَقَّتَةٌ وَخَاضعَةٌ لقَوَانين التَّطَوُّر"[1]، فَالعَرَبيَّةُ في ثَوْبهَا القَشيب الَّذي وَصلَتْ به إلَيْنَا تُمثِّلُ أَنْمَاطًا إيقَاعيَّةً أَكْثَرَ تَنَاغُمًا وَتَبْسيطًا لكَثْرَة مَا تَخَلَّتْ عَنْهُ منَ الصُّوَر الثَّقيلَة الـمُعَقَّدَة عَبْرَ حقَب طَويلَة منَ الصَّقْل وَالتَّشْذيب قَبْلَ اسْتقْرَار أَوْضَاعهَا .

وَكَمَا هُوَ مَعْلُومٌ فَإنَّ الوحْدَات الصَّوْتيَّةَ تَـخْتَلفُ في قـيَمهَا طُولاً وَقصرًا ، قُوَّةً وَضعْفًا ، سُكُونًا وَحَركَةً ، وَقَدْ يُؤَدِّي هَذَا إلَى نَوْع منَ التَّنَاقُض أَو الْـمُـنَاوَأَة أَثْنَاءَ عَمَليَّة النُّطْق ؛ مـمَّا يَدْفَعُ اللُّغَةَ في كَثير منَ الأَحْيَان إلَى مُحَاوَلَة التَّخَلُّص منْ ذَلكَ عَنْ طَريق بَعْض الآليَّات الَّتي تَأْخُذُ مَظَاهرَ صَوْتيَّةً مُخْتَلفَةً .

وَقَدْ تَميَّزَتْ العربية في تَوَجُّهَاتهَا وَإجْرَاءَتهَا في سَبيلهَا لاعْتمَاد تلْكَ الآليَّات بنَوْعَيْن منَ المعَالَجَات ، يَقفُ كلٌّ منْهُمَا عَلَى طَرَفَيْ نَقيض في الـمَنْزَع ، وَإنْ اتَّفَقَا في الْهَدَف الـمَأْرب ، يَميلُ أَحَدُهُمَا إلَى الْحَذْف وَالبَتْر ، وَيَنْزعُ الآخَرُ إلَى الزِّيَادَة وَالإقْحَام ، تَتَوَسَّطُهُمَا مَنَازعُ مُتَبَاينَةٌ تَتَلَمَّسُ تَيْسيرَ اللَّفْظ ، وَتَحْقيقَ أَكْبَر قَدْر منَ الاسْتخْفَاف ، دُونَ أَدْنَى إخْلَال بالدَّلاَلَات الـمَعْنَويَّة الأَصْليَّة ، وَهْيَ الإجْرَاءَاتُ الَّتي شَكَّلَتْ **حُدُودَ الدِّرَاسَة** الْمَوْضُوعيَّةَ وَإطَارَهَا الإجْرَائيَّ ، في مُحَاوَلَة للإجَابَة عَن التَّسَاؤُلَات الَّتي طَرَحْنَاهَا آنفًا وَالَّتي مَثَّلَت الْإطَارَ التَّنْظيميَّ الَّذي سَطَّرْنَاهُ في **الْمَبَاحث السَّبْعَة** الَّتي انْبَنَى عَلَيْهَا صُلْبُ هَذه الدِّرَاسَة .

وَيُسْلمُني تَحْقيقُ أَهْدَاف هَذَا البَحْث إلَى أَنْ أَعْتَمدَ **مَنْهَجًا تَكَامُليًّا خَاصًّا** يُوَظِّفُ مُعْطَيَات الْوَصْف وَالتَّحْليل وَالْمُقَارنَة ، وَيَتَبَنَّى آليَّات الاسْتدْلَال ، وَالتَّعْليل ، وَالتَّرجيح ، وَيَقُومُ برَصْد أَثَر التَّغْييرات الصَّوْتيَّة الصَّرْفيَّة وَمَوَاطنهَا في البنْيَة اللُّغَويَّة لأَلْفَاظ العَرَبيَّة ، منْ أَجْل تَتَبُّع العلاَقَات وَالرَّوَابط وَتَحْديد أَبْعَاد هَذَا الأَثَر ، وَوَصْفه وَصْفًا دَقيقًا ، يُمَهِّدُ لتَحْليله في ضَوْء مُعْطَيَات النَّظَريَّات الحَديثَة في الدَّرْس اللُّغَويِّ ، مَعَ الاسْتئْنَاس بنَتَائج

[1] أسس علم اللغة _ ماريو باي : ٣٧

الدَّرْس الــمُقَارن الَّتي قَدْ تُسْهِمُ أَحْيَانًا في إِلْقَاء مَزيد من الأَضْوَاء حَوْلَ صحَّة بَعْض الآرَاء ، أو خَطَئهَا . وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّني لَنْ أَسْتَطيعَ الْتزَامَ نَمَط جَامد في تَنْظيم الْمَادَّة الْمَعْرُوضَة ، بَلْ سَأَعْتَمدُ عدَّةَ أَنْمَاط مَرنَة في التَّنْظيم ، بحَسْب مَاتَفْرضُهُ ظُرُوفُ الظَّاهرَة المَدْرُوسَة ، وَهَكَذَا ستَــعَدَّدُ صُوَرُ التَّنْظيم طبْقًا لمَا أَرْتَــئــي أَنَّهُ الطِّريقَةُ الــمُــثْلَى لعَرْض هَذه الظَوَاهر ، وُصُولاً إلى النَّتَائج بمَنْطقيَّة وَوُضُوح .

وَقَدْ وَاجَهَت الدِّرَاسَةُ مَا أَحَاطَ بهَا منْ **صُعُوبَات** وَتَحَدِّيَات ، وَتَعَلَّقَت الصُّعُوبَةُ الرَّئيسَةُ بمَادَّة الْبَحْث وَاتِّسَاع حُدُودهَا لتَشْمَلَ بنْيَةَ الْكَلمَات الْعَرَبيَّة بُغْيَةَ رَصْد آليَّات التَّغْيير فيهَا ، وَكَانَ التَّحَدِّي الأَكْبَرُ هُوَ تَنَاوُلُ تَغْييرات صَوْتيَّة تَعَاوَرَت الْبنْيَةَ عَبْرَ قُرُون طَويلَة ، إذ الدَّارسُ للُغَة عَصْره يَجدُ بَيْنَ يَدَيْه النَّمَاذجَ الصَّوْتيَّةَ الَّتي يَعْتَمدُ عَلَيْهَا في دراَسَته ، بَيْدَ أَنَّ مَا أَسْهَمَ في مُواجَهَتنَا لهَذَا التَّحَدِّي هُوَ أَنَّ هَذه التَّغْييرات ارْتَبَطَتْ بآليَّات سَلَكَتْ وَفْقَ مَسَاقَات مُنْتَظمَة أَسْهَمَتْ في السَّمَاح لَنَا بتَتَبُّع هَذه الْمَساقَات.

ولَا أَزْعُمُ أَنَّ مَوْضُوعَ دراَسَتنَا لَمْ يُطْرَقْ منْ قَبْلُ ؛ فَقَدْ **سَبَقَتْنَا إِلَيْه دراَسَاتٌ** عَديدَةٌ مُتَفَاوتَةُ الْجدَّة والأَهَميَّة ، نَذْكُرُ منْهَا عَلَى سَبيل الْمثَال لَا الْحصْر : « بنْيَةُ الْكَلمَة الْعَرَبيَّة وَالْقَوَانينُ الصَّوْتيَّةُ »[1] ، و « التَّخْفيفُ الصَّوْتيُّ في بنْيَة الْكَلمَة الْعَرَبيَّة »[2]، بَيْدَ أَنَّه لَمْ يَتَهَيَّأْ لفكْرَة هَذَا البَحْث وَإطَاره التَّنْظيميِّ الْمَنْهَجيِّ الَّذي يَنْتَظمُ آليَّات التَّغْيير وَمَا تَضمَّنَتْهُ منْ إجْرَاءَات – عَلَى قَدْر علْمنَا المَحْدُود – بَحْثٌ شَاملٌ يَرْسُمُ لَنَا صُورَةً وَاضحَةً شَاملَةً لأَبْعَاد هَذه الآليَّات وَأَثَرهَا في البنْيَة اللُّغَويَّة ، وَفي الوَاقع العَمَليِّ للُّغَة نُطْقًا واسْتخْدَامًا . وقَدْ تَدَاعَتْ هَذه الْبَوَاعثُ كُلُّهَا عَلَى اقْتنَاعي بقيمَة هَذه الْفكْرَة ، وَبأَهَميَّتهَا في مَجَال الدَّرْس اللُّغَويِّ ، وَمنْ ثَمَّ فَقَدْ انْعَقَدَ العَزْمُ والهَدَفُ عَلَى تَجْليَة مَسَائلهَا ، وَ إبْرَاز أَثَرهَا منْ خلاَل تَتَبُّع التَّعْليلاَت الَّتي بَثَّهَا النُّحَاةُ في مَعْرض تَوْجيههمْ للتَّغْييرات عَلَى الــمُسْتَوى الصَّوْتيِّ ، والصَّرفيِّ ، بَلْ والتَّرْكيبيِّ أَحْيَانًا .

---

[1] بنية الكلمة العربية والقوانين الصوتية – ربيح عمار – بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية ٠ جامعة محمد خيضر بسكرة – العدد الحادي عشر – مايو ٢٠٠٧م .

[2] التخفيف الصوتي في بنية الكلمة العربية – دراسة تحليلية في علم الدلالة الصوتي – رشيد حليم – بحث منشور في مجلة التواصل في اللغات والثقافة والآداب – عنابة – الجزائر – العدد الحادي والثلاثون – سبتمبر ٢٠١٢م .

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ :

آلِيَّةُ التَّقْرِيبِ وَالــمُجَانَسَـــــة

بَدَهِيٌّ أَنَّ أَصْوَاتَ اللُّغَةِ يَتَأَثَّرُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ أَثْنَاءَ تَتَابُعِ النُّطْــقِ فِــي الكَلِمَــاتِ وَالجُمَلِ ، وَيَحْدُثُ احْتِكَاكٌ وَتَأَثُّرٌ بَيْنَ الأَصْوَاتِ الــمُخْتَلِفَةِ فِــي المخَــارِجِ أَوِ الــصِّفَاتِ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ تَقَارُبٌ بَيْنَ هَذِهِ الأَصْوَاتِ المخْتَلِفَةِ ، حَيْثُ تَتَغَيَّرُ بَعْضُ مَخَارِجِ الأَصْــوَاتِ أَوْ صِفَاتِهَا ، كَيْ تَتَوَافَقَ مَعَ الأَصْوَاتِ المــُجَاوِرَةِ لهَا فِي الكَلَامِ ، وَهَــذَا التَّوَافُــقُ قَــدْ يَحْدُثُ بَيْنَ الأَصْوَاتِ الصَّامِتَةِ ، أَوْ بَــيْنَ الــصَّوَائِتِ ، أَوْ بَــيْنَ الأَصْــوَاتِ الــصَّامِتَةِ وَالأَصْوَاتِ الصَّائِتَةِ .

فَقَدْ تَتَضَمَّنُ البِنْيَةُ أَوِ التَّرْكِيبُ تَمَاســاً أَوْ تَقَارُبًا بَيْنَ أَصْوَاتٍ يَثْقُــلُ أَدَاؤُهَــا أَوْ يَتَعَذَّرُ ، لِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ تَنَافُرٍ ، أَوْ صُوَرٍ صَوْتِيَّةٍ مُسْتَثْقَلَةٍ ، أَوْ مَهْجُورَةٍ أَصْلًا فِي العَرَبِيَّــةِ ، وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الحَالَاتِ التَّرْكِيبِيَّةِ تَتَولَّدُ بِالاحْتِكَاكِ بَيْنَ الصَّوَامِتِ وَالــصَّوَائِتِ تَبَــدُّلَاتٌ اضْطِرَارِيَّةٌ ؛ لِيَزُولَ بِهَا الثِّقَلُ أَوِ التَّعَذُّرُ ، وَيَتَّفِقَ الصَّوْتَانِ عَلَــى شَــكْلٍ وَاحِــدٍ يُوَحِّــدُ مَصِيرَهُمَا .

فَالتَّغْيِيرَاتُ الَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِهَا هُنَا هِيَ تَغْيِيرَاتٌ تَرْكِيبِيَّةٌ تَحْدُثُ مَشْرُوطَةً بِتَجَمُّعٍ صَوْتِــيٍّ مُعَيَّنٍ ، وَلَيْسَتْ عَامَّةً فِــي الصَّوْتِ فِــي كُلِّ تَتَابُعَاتِهِ وَسِيَاقَاتِهِ الــمُخْتَلِفَةِ .

وَمِنَ الثَّابِتِ أَنَّه"لَا تُوجَدُ فِــي اللُّغَاتِ أَصْوَاتٌ لُغَوِيَّةٌ مُنْعَزِلَةً ، وَهَذَا لَــا يَعْنِــي فَقَطْ أَنَّ الأَصْوَاتَ اللُّغَوِيَّةَ لَا تُوجَدُ مُسْتَقِلَّةً ، وَأَنَّهَا لَا تُحَلَّلُ عَلَى انْفِرَادٍ إِلَّــا بِنَــوْعٍ مِــنَ التَّجْرِيدِ ، إِذْ إِنَّهَا فِــي كُلِّ لُغَةٍ تُكَوِّنُ نِظَامًا مُتَرَابِطًا ، لَكِنَّهُ يَعْنِي أَيْضًا أَنَّهَا لَا تُــسْتَعْمَلُ عَلَى انْفِرَادٍ ؛ فَلَا يُــتَكَلَّمُ إِلَّا بِــمُرَكَّبَاتٍ مِنَ الأَصْوَاتِ ، فَأَقَلُّ جُمْلَةٍ ، وَأَقَلُّ كَلِمَةٍ تَفْتَرِضُ سِلْسِلَةً مِنَ الحَرَكَاتِ النُّطْقِيَّةِ الــمُعَقَّدَةِ ، وَقَدْ تَرَكَّبَتْ فِيمَا بَيْنَهَا . وَمِنْ هَذِهِ الــــمُرَكَّبَاتِ تَنْتُجُ أَفْعَالٌ مُتَبَادَلَةٌ تُؤَدِّي إِلَى أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ التَّحْوِيرِ."[1]

فَالإِنْسَانُ حِينَ يَنْطِقُ لُغَتَهُ نُطْقًا طَبَعِيــــًّا يَخْلُو مِنَ التَّكَلُّــفِ ؛ فَــإِنَّ أَصْــوَاتَ الكَلِمَةِ الوَاحِدَةِ قَدْ يَحْدُثُ بَيْنَهَا نَوْعٌ مِنَ التَّأْثِيرِ وَالتَّأَثُّرِ ، وَتَتَفَاوَتُ دَرَجَاتُ هَــذَا التَّــأْثِيرِ الــمُتَبَادَلِ بِشَكْلٍ مَلْحُوظٍ ، فَبَعْضُ الأَصْوَاتِ سَرِيعُ التَّأَثُّرِ يَنْدَمِجُ فِــي غَيْــرِهِ بِــصُورَةٍ

[1] اللغــة _ فندريس : ٨٣

أَكْبَرَ مِمَّا يَحْدُثُ لِغَيْرِهِ مِنَ الأَصْوَاتِ ،"وَالأَصْوَاتُ فِي تَأَثُّرِهَا تَهْدِفُ إِلَى نَوْعٍ مِنَ الْمُمَاثَلَةِ ، أَو الْمُشَابَهَةِ بَيْنَهَا لِيَزْدَادَ مَعَ مُجَاوَرَتِهَا قُرْبُهَا فِي الصِّفَاتِ أَوِ الْمَخَارِجِ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُسَمَّى هَذَا التَّأَثُّرُ بِالانْسِجَامِ الصَّوْتِيِّ بَيْنَ أَصْوَاتِ اللُّغَةِ ، وَهَذِهِ ظَاهِرَةٌ شَائِعَةٌ فِي كُلِّ اللُّغَاتِ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ ، غَيْرَ أَنَّ اللُّغَاتِ تَخْتَلِفُ فِي نِسْبَةِ التَّأَثُّرِ وَنَوْعِهِ."[1]

يَقُولُ « **فندريس** » :" يَنْشَأُ بَيْنَ جَمِيعِ الأَعْضَاءِ الَّتِي تَتَعَاوَنُ عَلَى التَّصْوِيتِ نَوْعٌ مِنَ الاتِّفَاقِ الَّذِي بِمُقْتَضَاهُ يَمِيلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِالْوَضْعِ الَّذِي يَتَّخِذُهُ إِلَى أَنْ يَنْسَجِمَ مَعَ أَوْضَاعِ الأَعْضَاءِ الأُخْرَى."[2]

وَالتَّأَثُّرُ الْمُتَبَادَلُ بَيْنَ الأَصْوَاتِ الْمُتَجَاوِرَةِ يُعَدُّ أَمْرًا طَبَعِيًّا ، تَفْرِضُهُ سَنَنُ التَّطَوُّرِ ، وَطَبِيعَةُ التَّجَاوُرِ بَيْنَ الأَصْوَاتِ فِي نَسَقٍ صَوْتِيٍّ مَا ، وَ تَخْتَلِفُ أَنْوَاعُ التَّأَثُّرِ وَفْقَ الْمُمَاثَلَةِ طِبْقًا لِمَوْقِعِ الصَّوْتِ الْمُؤَثِّرِ وَالصَّوْتِ الْمُتَأَثِّرِ ، وَمِقْدَارِ التَّأَثُّرِ تَامًّا كَانَ أَوْ جُزْئِيًّا ، وَوَفْقَ تَمَامِ الْمُجَاوَرَةِ أَوْ فِي وُجُودِ فَاصِلٍ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ الْمُتَجَاوِرَيْنِ٣ ، وَمِنْ ثَمَّ تَتَعَاوَرُهَا ضُرُوبٌ مُتَفَاوِتَةٌ مِنَ التَّعْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ لِتُقَرِّبَ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ ، وَتُزِيلَ مَا بَيْنَهَا مِنْ عَثَرَاتٍ ، فَيُصْبِحَ بَيْنَهَا ضَرْبٌ مِنَ التَّقَارُبِ وَالْيُسْرِ فِي الأَدَاءِ ، وَقَدْ اتَّخَذَتْ عَمَلِيَّاتُ التَّقْرِيبِ عِدَّةَ أَنْمَاطٍ نُفَصِّلُهَا فِيمَا يَأْتِي :

- **التَّقْرِيبُ فِي إِحْدَى الصِّفَاتِ الْغَالِبَةِ :**

إِذْ يَعْمَدُ التَّغْيِيرُ هُنَا إِلَى الْحَرْفَيْنِ الْمُتَنَافِرَيْنِ حَالَ تَمَاسِّهِمَا أَوْ تَجَاوُرِهُمَا ؛ فَيُقَرِّبُ أَحَدَهُمَا مِنَ الآخَرِ فِي إِحْدَى الصِّفَاتِ الْغَالِبَةِ ، يَقُولُ سِيبويه :"وَقَالُوا فِي (مُفْتَعِلٍ) مِنْ (صَبَرْتُ) : (مُصْطَبِرٌ) ، أَرَادُوا التَّخْفِيفَ حِينَ تَقَارَبَا وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلَّا مَا ذَكَرْتُ لَكَ ، يَعْنِي قُرْبَ الْحَرْفِ ، وَصَارَا فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ ، وَلَمْ يَجُزْ إِدْخَالُ الصَّادِ فِيهَا لِمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْمُنْفَصِلَيْنِ ؛ فَأَبْدَلُوا مَكَانَهَا أَشْبَهَ الْحُرُوفِ بِالصَّادِ وَهِيَ الطَّاءُ ؛

---

[1] الأصوات اللغوية ــ د/ إبراهيم أنيس : ١٧٩

[2] اللغة ــ فندريس : ٦٣

[3] انظر : التطور اللغوي ــ د/ رمضان عبد التواب : ٣١

لِيَسْتَعْمِلُوا أَلْسِنَتَهُمْ فِي ضَرْبٍ وَاحِدٍ مِنَ الحُرُوفِ ، وَلِيَكُونَ عَمَلُهُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ إِذْ لَمْ يَصِلُوا إِلَى الإِدْغَامِ ."[1]

فَفِي هَذَا وَنَحْوِهِ وَقَعَ حَرْفُ التَّاءِ ، وَهُوَ حَرْفٌ شَدِيدٌ مَهْمُوسٌ مُسْتَفِلٌ مُنْفَتِحٌ ، وَحَقُّهُ التَّرْقِيقُ فِي كُلِّ حَالٍ بَعْدَ حَرْفٍ مِنْ أَحْرُفِ الإِطْبَاقِ الْمُسْتَعْلِيَةِ ، فَكَانَ التَّقْرِيبُ بِأَنْ تَحُلَّ الطَّاءُ مَحَلَّ التَّاءِ لِتَخْفِيفِ النُّطْقِ ، مِنْ قِبَلِ أَنَّ الطَّاءَ مِنْ أَحْرُفِ الإِطْبَاقِ وَالاسْتِعْلاَءِ ، وَفِي الوَقْتِ ذَاتِهِ هِيَ أُخْتُ التَّاءِ فِي المَخْرَجِ . فَطَلَبُ الخِفَّةِ ، وَالانْسِجَامِ الصَّوْتِيِّ ، أَوِ اسْتِعْمَالِ اللِّسَانِ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ حِينَ يَتَعَذَّرُ الإِدْغَامُ التَّامُّ فِيمَا ذَكَرَهُ سِيبَوَيهِ وَأَشْبَاهُهُ ، هُوَ عِلَّةُ هَذَا التَّقْرِيبِ فِي الصِّفَاتِ بَيْنَ الحَرْفَيْنِ الْمُتَنَافِرَيْنِ الْمُتَمَاسَّيْنِ .

وَتِلْكَ هِيَ الحَالُ فِي نَحْوِ : (ازْدَهَرَ ، وَازْدَجَرَ ، وَازْدَادَ) ، وَالأَصْلُ : (ازْتَهَرَ ، وَازْتَجَرَ ، وَازْتَادَ) ؛ إِذْ وَقَعَتِ التَّاءُ الشَّدِيدَةُ الْمَهْمُوسَةُ بَعْدَ الزَّايِ الرِّخْوَةِ الْمَجْهُورَةِ ، وَالتَّنَافُرُ ظَاهِرٌ فِي صِفَتَيْنِ ؛ فَغَلَبَ الجَهْرُ الهَمْسَ ؛ فَأُبْدِلَ مِنَ التَّاءِ حَرْفٌ شَدِيدٌ مَجْهُورٌ هُوَ الدَّالُ ؛ فَزَالَ التَّعَثُّرُ بِهَذَا الضَّرْبِ مِنَ التَّقْرِيبِ .

وَقَدْ يَحْدُثُ التَّقْرِيبُ حَالَةَ كَوْنِ الحَرْفَيْنِ الْمُتَنَافِرَيْنِ مُنْفَصِلَيْنِ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ أَوْ أَكْثَرَ ، فَفِي نَحْوِ : (سَطْرٌ ، وَسَوْطٌ ، وسِرَاطٍ) ، يَغْلِبُ أَنْ تُلْفَظَ : (صَطْرٌ ، وصَوْطٌ ، وَصِرَاطٌ) إِذْ تَقُومُ الصَّادُ أُخْتُ السِّينِ فِي الهَمْسِ وَالرَّخَاوَةِ ، بِالتَّقْرِيبِ بَيْنَ السِّينِ الْمُنْسَفِلَةِ فِي أَوَّلِهَا جَمِيعًا ، وَالأَحْرُفِ الْمُسْتَعْلِيَةِ بَعْدَهَا ، لِمَا فِي الصَّادِ مِنَ الاسْتِعْلاَءِ ، وَهِيَ الصِّفَةُ الْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَهَا ، وَبَيْنَ تِلْكَ الأَحْرُفِ ؛ فَتَحِلُّ الصَّادُ عَلَى مُسْتَوَى الأَدَاءِ النُّطْقِيِّ مَحَلَّ السِّينِ .

- **التَّقْرِيبُ فِي الْمَخْرَجِ :**

قَدْ يَرِدُ التَّصَرُّفُ بِأَنْ يَعْمَدَ النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ إِلَى الصَّوْتَيْنِ المخْتَلِفَيْنِ الْمُتَمَاسَّيْنِ أَوْ المتَقَارِبَيْنِ ، لِيُقِيمَ قَنَاةً مُشْتَرَكَةً تُقَرِّبُ بَيْنَهُمَا ؛ فَيَجْعَلَهُمَا مُشْتَرِكَيْنِ فِي الْمَخْرَجِ ، مُخْتَلِفَيْنِ فِي الصِّفَةِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بَيْنَ صَامِتٍ وَصَائِتٍ ، أَوْ بَيْنَ صَامِتَيْنِ ، فَيَحْدُثُ التَّفَاعُلُ بَيْنَهُمَا ؛ لِيَنْتَقِلَ أَحَدُهُمَا إِلَى مَخْرَجِ الآخَرِ ، وَذَلِكَ حِينَ تُقْلَبُ الوَاوُ يَاءً إِذَا وَقَعَتْ عَيْنًا لِجَمْعٍ صَحِيحِ اللاَّمِ ، وَقَبْلَهَا كَسْرَةٌ ، كَمَا فِي نَحْوِ : (قِيَمٌ ، وَصِيَغٌ ، وَدِيَارٌ ، وَرِيَاضٌ ،

[1] الكتاب ــ سيبويه : ٤/٤٦٧

وَحِيَاضٌ ، وَثِيَابٌ ، وَرِيَاحٌ) ، فَوُقُوعُ الوَاوِ بَيْنَ الْكَسْرَةِ وَالأَلِفِ فِي الْجَمْعِ هُنَا ، كَأَنَّهُ جَمْعٌ بَيْنَ أَحْرُفِ الْعِلَّةِ الثَّلاثَةِ ؛ فَتَعْمَدُ الْمُعَالَجَةُ إِلَى أَثْقَلِهَا ، وَهُوَ الوَاوُ ؛ فَيَكُونُ التَّصَرُّفُ بِمَا يُجَانِسُ الْكَسْرَةَ الَّتِي تَسْبِقُهَا ؛ فَتُقْلَبُ يَاءً .

وَقَدْ امْتَدَّ تَأْثِيرُ الْحَرَكَةِ إِلَى الْحَرْفِ أَيْضًا فِي تَصْغِيرِ نَحْوِ : (صَاحِبٌ ، وَشَاعِرٌ) ، إِذْ تَقُولُ : (صُوَيْحِبٌ ، وَشُوَيْعِرٌ) ؛ فَحِينَ تَعَذَّرَ النُّطْقُ بِالأَلِفِ بَعْدَ الضَّمِّ الوَاجِبِ ، قُلِبَتِ الأَلِفُ وَاوًا لِتُجَانِسَ الضَّمَّةَ قَبْلَهَا .

وَهُوَ مَا يَحْدُثُ لِلْهَمْزَةِ الْمَفْتُوحَةِ بَعْدَ كَسْرٍ كَمَا فِي (رِيَاسَةٌ) ، و (الْتِيَامٌ) ، إذ تُبْدَلُ الهمزةُ ياءً بَعْدَ الْكَسْرَةِ ،أَوِ الْمَفْتُوحَةِ بَعْدَ ضَمٍّ كَمَا فِي (رُوَسَاءُ) ، و(نُولِّفُ) ، فَأُبْدِلَتِ الْهَمْزَةُ وَاوًا بَعْدَ الضَّمِّ .

وَقَدْ يَمْتَدُّ تَأْثِيرُ الْحَرْفِ إِلَى الْحَرَكَةِ لِتَصِيرَ مِنْ جِنْسِهِ ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُ"فِي كُلِّ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ ، كَثِيرًا مَا تَتَحَوَّلُ حَرَكَةُ الْمُضَارِعِ مِنَ الضَّمِّ أَوِ الْكَسْرِ إِلَى الْفَتْحِ ، إِذَا كَانَتْ عَيْنُهُ أَوْ لَامُهُ صَوْتًا حَلْقِيًّا ؛ فَالْفِعْلُ (فَتَحَ) مُضَارِعُهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ : (يَفْتَحُ) ، وَفِي الْحَبَشِيَّةِ : (**yeftāh**) ، وَفِي الْعِبْرِيَّةِ : (**yeftaḥ**) ،وَفِي السُّرْيَانِيَّةِ : (**yeftaḥ**) ، وَفِي الآشُورِيَّةِ : (**İptē**) مِنْ (**İptaḥ**)"[1] ، فَحَرَكَةُ الْعَيْنِ مِنْ هَذِهِ الأَفْعَالِ هِيَ الْكَسْرَةُ ؛ وَلأَنَّهَا وَقَعَتْ قَبْلَ حَرْفٍ حَلْقِيٍّ فَقَدْ قُلِبَتِ الْكَسْرَةُ إِلَى فَتْحَةٍ لِتُنَاسِبَ الْحَرْفَ الْحَلْقِيَّ بَعْدَهَا ، وَيَتَحَقَّقَ التَّقْرِيبُ وَالْمُجَانَسَةُ .

وَقَدْ يَحْدُثُ التَّأْثِيرُ وَالتَّأَثُّرُ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ دُونَ تَمَاسٍّ بَيْنَهَا ، فَقَدْ يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا حَرْفٌ سَاكِنٌ ، وَالسَّاكِنُ حَاجِزٌ غَيْرُ حَصِينٍ ، كَمَا فِي نَحْوِ : (قِنْيَةٌ ، وصِبْيَةٌ) ، وَأَصْلُ اليَاءِ فِيهِمَا الوَاوُ ؛ فَقَلَبُوا الْوَاوَ يَاءً جُنُوحًا بِهَا نَحْوَ الاسْتِخْفَافِ[2].

وَفِي الْمُقَابِلِ قَدْ يَكُونُ لِلْحَرْفِ تَأْثِيرٌ فِي تَقْرِيبِ الْحَرَكَةِ مِنَ الْحَرْفِ ، كَمَا فِي (بِيُوتٌ ، وسِيُوفٌ ، وشِيُوخٌ) ؛ إِذْ أَثَّرَتِ اليَاءُ الصَّامِتَةُ هُنَا فِي الضَّمَّةِ قَبْلَهَا ؛ فَقُلِبَتِ الضَّمَّةُ كَسْرَةً [1].

---

[1] فقه اللغات السامية – كارل بروكلمان : ٧١

[2] انظر : الخصائص– أبو الفتح بن جني : ٣٦١/٢

وَقَدْ يَحْدُثُ هَذَا التَّقْرِيبُ وَالــمُجَانَسَةُ بَيْنَ حَرْفَيْنِ صَامِتَيْنِ فَفِي نَحْوِ (عَنْبَرٌ ، وَأَنْبَتَ ، وَأَنْبَاءُ ، وَانبِهَارٌ) ، نَلْحَظُ أَنَّ النُّونَ قَدِ انْحَرَفَتْ عَنْ مَخْرَجِهَا إِلَى حَيِّزِ الْــمِيمِ نَظَــرًا لِلتَّنَافُرِ النَّاشِئِ مِنَ ائْتِلَافِ النُّونِ السَّاكِنَةِ وَالْبَاءِ ، إِذْ لِلنُّونِ السَّاكِنَةِ غُنَّــةٌ تُنَــاوِئُ الْبَــاءَ ، وَلَــمَّا كَانَتِ الْــمِيمُ أُخْتَ الْبَاءِ فِي الْمَخْرَجِ ، وَصِنْوَ النُّونِ فِي الْغُنَّةِ ، فَقَدْ حَلَّــتْ مَحَــلَّ النُّونِ ؛ لِتَتَحَقَّقَ الْمُجَانَسَةُ .

- **امْتِزَاجُ الصَّوْتَيْنِ :**

إِذْ يُؤَدِّي التَّفَاعُلُ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ الــمُتَمَاسَّيْنِ إِلَى أَنْ يَتَبَدَّلَ أَحَدُهُمَا لِيَصِيرَ مِنْ جِــنْسِ الآخَرِ ؛ فَيَمْتَزِجَا مَعًا فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ ، ففي نحو : (كَأْسٌ ، وَبِئْرٌ ، وَبُؤْسٌ) اجْتَمَعَــتْ فِي كُلِّ لَفْظَةٍ مِنْهَا هَمْزَةٌ سَاكِنَةٌ تَسْبِقُهَا حَرَكَةٌ ؛ فَحَدَثَ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ تَفَاعُلٌ ، نَتَجَ عَنْهُ أَنْ يَتَحَوَّلَ الصَّامِتُ إِلَى صَائِتٍ يَمْتَزِجُ مَعَ مَا قَبْلَهُ ؛ لِيُكَوِّنَا مَعًا مَقْطَعًا مَفْتُوحًا مِــنَ النَّــوْعِ الثَّانِي (صامت C + حركة طويلة VV) ، وَبِذَلِكَ يَتَحَرَّرُ التَّصْوِيتُ مِنَ احْتِبَاسِ النَّبْرِ الــمُسْتَثْقَلِ فِي إِطَارِ السُّكُونِ ، مِنْ خِلَالِ التَّقْرِيبِ وَالتَّجْنِيسِ لِيُــؤَمِّنَ قَــدْرًا أَكْبَــرَ مِــنَ الــمُرُونَةِ فِي التَّصْوِيتِ لِهَذَيْنِ الــمُتَمَاسَّيْنِ بَعْدَ زَوَالِ هَذَا الصَّوْتِ الانْفِجَارِيِّ .

فَالهَمْزَةُ وَهْيَ"نَبْرةٌ فِي الصَّدْرِ تَخْرُجُ بِاجْتِهَادٍ ، وَهْيَ أَبْعَدُ الحُرُوفِ مَخْرَجًا ؛ فَثَقُــلَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ؛ لأَنَّه كَالتَّهَوُّعِ"[٢]؛ قَدْ اسْتُثْقِلَ فِيهَا النَّبْرُ وَهْيَ فِي حَيِّزِ السُّكُونِ ؛ فَجَعَلَهَا مُهَيَّأَةً لِلتَّخْفِيفِ فِيمَا ذَكَرْنَا ، فَإِنَّ وُقُوعَهَا سَاكِنَةً بَعْدَ أُخْرَى مُتَحَرِّكَةٍ يَجْعَلُ الاسْتِثْقَالَ فِيهَا أَشَــدَّ لِــمَا فِيهِ مِنْ تَهَوُّعٍ مَضَاعَفٍ ، فَفِي نَحْوِ : (آخِذٌ ، وَأُوثِرُ ، وَإِيلَافٌ) ، وَالأَلِفُ وَالــوَاوُ وَالْيَاءُ فِيهَا جَمِيعًا أَصْلُهَا الهَمْزَةُ ، خَضَعَتِ الهَمْزَةُ لِلْحَرَكَةِ قَبْلَهَا لِتَيْسِيرِ اللَّفْظِ الْمُتَعَثِّــرِ ، وَتَوْفِيرِ الجُهْدِ العَضَلِيِّ ، فَامْتَزَجَا امْتِزَاجًا تَامًّا فِي إِطَارِ مَقْطَعٍ مَفْتُوحٍ مِنَ النَّوْعِ الثَّــانِي (صَامِتٌ C + حَرَكَةٌ طَوِيلَةٌ VV) ، يُزِيلُ التَّعَثُّرَ .

كَذَلِكَ الحَــــــالُ إِذَا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا لِلتَّوَصُّلِ سَــوَاءٌ أَكَانَتْ سَابِقَةً أَمْ لَاحِــــــقَةً ، فَوُقُوعُ هَمْزَةِ (أَتَى) بَعْدَ هَمْزَةِ الوَصْلِ فِي الأَمْرِ (ايتِ) ، وَهُمَا مُسْتَثْقَلَتَانِ لِــما فِيهِمَا

---

[١] في (بيوت) قرأ ورش ، وأبو عمرو ، وحفص ، وأبو جعفر ، ويعقوب كُلَّ مَا جَاءَ في القرآن بضمِّ الياء في جمع (فَعْل) على (فُعُول) ، وقرأ الباقون بكسر الباء لمجانسة الياء ، انظر : النشر في القراءات العشر ٤٢٧/٢ ، الكشف عن وجــوه القراءات : ٢٨٤/١ ، واتحاف فضلاء البشر : ١٥٥ .

[٢] الكتاب ــ سيبويه : ٥٤٨/٣

مِنْ التَّهَوُّعِ وتَرَاكُمِ النَّبْرِ ؛ فَيُؤَدِّي الاحْتِكَاكُ بَيْنَهُمَا إِلَى أَنْ يَتَحَوَّلَ الثَّانِي مِنْهُمَا إِلَى يَاءٍ تُزِيلُ العُسْرَ فِي التَّصْوِيتِ ، كَذَلِكَ إِذَا كَانَتْ لَاحِقَةً فَتَنْقَادُ هَمْزَةُ الوَصْلِ لِلتَّأْثِيرِ المُقْبِلِ فِي نَحْوِ :

آلْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيه *** أَمِ الشَّرُّ الَّذِي أَنَا هُوَ يَبْتَغِيه[1]

وَإِذَا كَانَ الامْتِزَاجُ مُسْتَجَازًا فِي كُلِّ مَاسَبَق فَإِنّه يَتَوَجَّبُ فِي نَحْوِ : (بَاعَ ، وَقَالَ ، وَرَجَا ، وَقَضَى ، وَأَجْدَى ، وَأَرْضَى ، وَيَنْأَى ، وَيَرْضَى ، ويَحْيَا ، وَيَعْيَا ، وَبَابٍ ، وَنَابٍ ، وَمِيزَانٍ ، وَمِيقَاتٍ ، وَمحَارِيبَ ، وَمَصَابِيحَ ، والقَاضِي ، والرَّاضِي) وغَيْرِهَا ، إِذْ يَمْتَزِجُ الصَّوْتُ الثَّانِي فِي الصَّوْتِ الأَوَّلِ لِيُكَوِّنَا مَعًا مَقْطَعًا مَفْتُوحًا مِنَ النَّوْعِ الثَّانِي (صَامِتٌ **C** + حَرَكَةٌ طَوِيلَةٌ **VV**) .

وَلَا تَسْتَعْصِي الصَّوَامِتُ عَلَى الخُضُوعِ لِهَذَا الامْتِزَاجِ فَفِي نَحْوِ : (دِيمَاسٍ ، وَدِيبَاجٍ ، وَدِينَارٍ ، وَقِيرَاطٍ ، وَشِيرَازٍ) ، والأَصْلُ فِيهَا جَمِيعًا بِحَرْفَيِ التَّضْعِيفِ : (دِمَّاسٍ ، وَدِبَّاجٍ ، وَدِنَّارٍ ، وَقِرَّاطٍ ، وَشِرَّازٍ)[2]، اسْتَجَابَ أَوَّلَ المُضَعَّفَيْنِ لِلْحَرَكَةِ المُؤَثِّرَةِ قَبْلَهُ ؛ فَاسْتَحَالَ مَدًّا صَرِيحًا .

[1] البيت **من الوافر للمثقب العبدي** ، في ديوانه : ١٢٥ [تحقيق وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفي – مع الهوامش التي وضعها المحقق – ط٢/١٩٩٧م– معهد المخطوطات العربية – القاهرة]

[2] انظر : شرح شافية ابن الحاجب : ٣/٢١٠–٢١١ ، و الخصائص : ٣/٢٤٠

الْمَبْحَثُ الثَّانِي

آلِيَّةُ الْـمُمَاثَلَةِ بَيْنَ الأَصْوَاتِ

(Assimilation)[1]

قَدْ تَعْتَرِي البِنْيَةَ صُوَرٌ صَوْتِيَّةٌ تَتَوَضَّعُ فِيهَا تَجَمُّعَاتٌ صَوْتِيَّةٌ تَحْمِلُ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ التَّنَافُرِ وَالْمُنَاوَأَةِ ، يَثْقُلُ مَعَهُ أَدَاؤُهَا أَوْ يَتَعَذَّرُ فِي إِطَارِ هَذَا التَّتَابُعِ ؛ فَتَتَوَلَّدُ بِالاحْتِكَاكِ بَيْنَهَا تَحَوُّلاتٌ أَشْبَهُ بِمَا تَحْدُثُ"بَيْنَ المَوَادِّ المُحَمَّلَةِ بِالكَهْرُبَاءِ ، فَتَجَاوُرُ مَادَّتَيْنِ مِنْ هَذِهِ المَوَادِّ يُحْدِثُ بَيْنَهَا تَجَاذُبًا ، إِذَا كَانَتَا مُخْتَلِفَتَيْنِ فِي نَوْعِ كَهْرُبَائِهِمَا ، بِأَنْ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا مُوجَبَةً وَالأُخْرَى سَالِبَةً ، وَتَنَافُرًا إِذَا كَانَتَا مُتَّحِدَتَيْنِ فِيهِ بِأَنْ كَانَتْ كِلْتَاهُمَا مُوجَبَةً أَوْ سَالِبَةً ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ أَحْيَانًا التَّجَاوُرُ أَوِ التَّقَارُبُ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ"[2]، وَهُنَا يَبْسُطُ النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ سُلْطَانَهُ مِنْ أَجْلِ أَنْ"يَنْشَأَ بَيْنَ جَمِيعِ الأَعْضَاءِ الَّتِي تَتَعَاوَنُ عَلَى التَّصْوِيتِ نَوْعٌ مِنَ الاتِّفَاقِ الَّذِي بِمُقْتَضَاهُ يَمِيلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِالوَضْعِ الَّذِي يَتَّخِذُهُ إِلَى أَنْ يَنْسَجِمَ مَعَ أَوْضَاعِ الأَعْضَاءِ الأُخْرَى"[3]، وَ هَذَا التَّوَافُقُ قَدْ يَحْدُثُ بَيْنَ الأَصْوَاتِ الصَّامِتَةِ ، أَوْ بَيْنَ الصَّوَائِتِ ، أَوْ بَيْنَ الأَصْوَاتِ الصَّامِتَةِ وَالصَّوَائِتِ.

- **الْـمُمَاثَلَةُ بَيْنَ الصَّوَامِتِ :**

وَهُنَا يُؤَدِّي التَّفَاعُلُ وَالاحْتِكَاكُ بَيْنَ الحَرْفَيْنِ المُتَمَاسَّيْنِ إِلَى اتِّفَاقِهِمَا فِي اللَّفْظِ ؛ فَيَصِيرَا مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ ، كَمَا يَحْدُثُ فِي نَحْوِ (سَيِّدٌ ، وَهَيِّنٌ ، وَمَيِّتٌ ، وَجَيِّدٌ ، وَ سَيِّئٌ) ، وَالأَصْلُ فِيهَا[4] : (سَيْوِدٌ ، وَهَيْوِنٌ ، وَمَيْوِتٌ ، وَجَيْوِدٌ ، وسَيْوِءٌ) ، وَقَعَتِ الْوَاوُ الصَّامِتَةُ (**consonnant**) المَكْسُورَةُ ، بَعْدَ الْيَاءِ السَّاكِنَةِ (**Semi-**

---

[1] يُعَرِّف المحدثون المماثلة بأنَّها : " تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض تأثرًا يؤدي إلى التقارب في الصفة أو المخرج تحقيقًا للانسجام الصوتيّ ، وتيسيرًا للنطق ، واقتصادًا في الجهد العضليّ ". [لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ــ د/ عبد العزيز مطر :٢٤٥ [دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م] ،

– ويصفها (دانيال جونز Daniel Jones) بأنَّها عملية استبدال صوت بآخر تحت تأثير صوت ثالث قريب منه في كلمة أو في الجملة ، ويمكنها أن تتسع لتشمل تفاعل صوتين متواليين ينتج عنهما صوت واحد مختلف عنهما.

Daniel Jones , An Cutline of English phonetics : P. ٢١٧

Cambridg University press, seventh Ed ١٩٨٦ **)**

[2] علم اللغة ــ د/ علي عبد الواحد وافي : ٢٩٨

[3] اللغة ــ فندريس : ٦٣

[4] هذا هو الأشهر ، وهو رأي البصريين .

vowel) ، فَوُقُوعُ الْوَاوِ بَعْدَ يَاءٍ سَاكِنَةٍ فِي مَقْطَعٍ هَابِطٍ (descending) ، وَاتِّصَالُ التَّصْوِيتِ بَيْنَهُمَا يَحْمِلُ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الثِّقَلِ وَالْمُنَاوَأَةِ ؛ فَقُلِبَتِ الوَاوُ لِتُمَاثِلَ مَا قَبْلَهَا ؛ لِتَيْسِيرِ الإِدْغَامِ .

وَمِنْ هَذِهِ الْمُعَالَجَاتِ مَا نَجِدُهُ فِي نَحْوِ : (نبيءٌ ، وَبَرِيئَةٌ ، وَخَطِيئَةٌ) ، إِذْ تَقَعُ الهَمْزَةُ بَعْدَ يَاءِ الْمَدِّ ، وَهُوَ مَا يَتَطَلَّبُ جُهْدًا عَضَلِيًّا لِلانْتِقَالِ مِنَ السُّكُونِ إِلَى النَّبْرِ ، وَمِنْ ثَمَّ لَجَئُوا إِلَى مُمَاثَلَةِ الْهَمْزَةِ لِلْيَاءِ قَبْلَهَا ، مَعَ اخْتِزَالِ هَذَا الصَّائِتِ الْمَمْدُودِ لِتَحْقِيقِ الْمُمَاثَلَةِ ، وَمِنْ ثَمَّ اخْتَفَى النَّبْرُ لِلْهَمْزَةِ ؛ فَقَالُوا : (نَبِيٌّ ، وَبَرِيَّةٌ ، وَخَطِيَّةٌ) .

وَمِنْ صُوَرِ هَذِهِ الْمُمَاثَلَةِ مُمَاثَلَةُ الوَاوِ وَالياءِ السَّاكِنَتَيْنِ لِلتَاءِ فِي (افْتَعَلَ) وَمُشْتَقَّاتِهِ ، كَمَا فِي (اتَّصَفَ ، وَاتَّسَرَ ، وَيَتَّصِفُ ، وَيَتَّسِرُ ، وَاتِّصافٍ ، وَاتِّسَارٍ ، وَمُتَّصِفٍ ، وَمُتَّسِرٍ) ، وَأَشْبَاهِهَا ؛ فَالْوَاوُ وَالياءُ نِصْفَا الْحَرَكَةِ (Semi-vowel) اللَّتَانِ تَتَّسِمَانِ بِالْقِصَرِ ، وَقِلَّةِ الوُضُوحِ السَّمْعِيِّ مُقَارَنَةً بِالْحركَاتِ (vowel) ، كَمَا أَنَّ وُقُوعَهُمَا سَاكِنَتَيْنِ فِي نِهَايَةِ الْمَقْطَعِ الْهَابِطِ (descending) ، يُزِيدُهُمَا ضَعْفًا ؛ فَتَخْضَعَانِ لِتَأْثِيرِ التَّاءِ الانْفِجَارِيَّةِ الْمَنْبُورَةِ فِي بِدَايَةِ الْمَقْطَعِ التَّالِي ؛ مِمَّا يَجْعَلُهُمَا أَشَدَّ طَلَبًا لِلْمُمَاثَلَةِ ؛ فَكَانَ أَن مُوثِلَتَا مَعَ التَّاءِ اللَّاحِقَةِ .

وَمِنْ أَبْرَزِ أَشْكَالِ الْمُمَاثَلَةِ فِي الْحَرْفِ وَأَشْهَرِهَا مُمَاثَلَةُ لَامِ التَّعْرِيفِ لِلثَّلَاثَةَ عَشَرَ صَوْتًا الْمُقَارِبَةِ لَهَا فِي الْمَخْرَجِ ؛ فَاللَّامُ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ ، وَهَذِهِ الحُرُوفُ أَحَدَ عَشَرَ حَرْفًا مِنْهَا حُرُوفُ طَرَفِ اللِّسَانِ ، وَحَرْفَانِ يُخَالِطَانِ طَرَفَ اللِّسَانِ[1]، فَالعِلَّةُ فِي إِدْغَامِ هَذِهِ الحُرُوفِ فِي لَامِ التَّعْرِيفِ"أَنَّ مَخْرَجَهَا مِنْ مَخَارِجِ هَذِهِ الحُرُوفِ فِي الفَمِ ؛ فَلَمَّا سَكَنَتْ وَلَزِمَهَا السُّكُونُ أَشْبَهَتْ اجْتِمَاعَ الْمِثْلَيْنِ ، وَالأَوَّلُ سَاكِنٌ ، وَكَثُرَ الاسْتِعْمَالُ لَهَا ، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ هَذِهِ الحُرُوفِ أَقْوَى مِنَ اللَّامِ ، لَيْسَ مِنْهَا مَا يَنْقُصُ عَنْ قُوَّةِ اللَّامِ ، إِلاَّ التَّاءَ ، فَكَانَ فِي إِدْغَامِهَا فِيهِنَّ قُوَّةٌ لَهَا ؛ فَأُدْغِمَتْ فِيهَا لِذَلِكَ ."[2]

---

[1] انظر : الكتاب ــ سيبويه : ٤ / ٤٥٧ ، ويذكر (سيبويه) بعد ذلك أنَّ الأحدَ عشرَ حرفًا هي : (النون) ، و(الراء) ، و (الدال) ، و(التاء) ، و (الصاد) ، و (الطاء) ، و (الزاي) ، و (السين) ، و (الظاء) ، و (الثاء) ، و (الذال) ، واللذان خالطاها هما : (الضاد) ، و(الشين) .

[2] الكشف عن وجوه القراءات السبع ، وعللها وحججها ــ مكي بن أبي طالب : ١٤٢ [تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان ــ بيروت ــ مؤسسة الرسالة ــ الطبعة الرابعة ــ ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧ م]

فَالمُمَاثَلَة الْحَادثَةُ بَيْنَ لَامِ التَّعْرِيفِ وَمَا بَعْدَهَا هِيَ نَتِيجَةُ التَّفَاعُلِ بَيْنَ الحَرْفَيْنِ المُتَقَارِبَيْنِ ؛ إِذْ تَحَوَّلَتِ اللَّامُ وَصَارَتْ مِنْ لَفْظِ مَا بَعْدَهَا ؛ لِتُدْغَمَ فِيهِ ، وَيُكَوِّنَا مَا يُشْبِهُ الحَرْفَ الوَاحِدَ ؛ وَيَرْتَفِعَ اللِّسَانُ عَنْهُمَا رَفْعَةً وَاحِدَةً ؛ ذلك أَنَّ مَخْرَجَ اللَّامِ بَيْنَ طَرَفِ اللِّسَانِ وَلِثَةِ الثَّنَايَا العُلْيَا ، وَمَخْرَجُ الحُرُوفِ الشَّمْسِيَّةِ يَتَرَاوَحُ بَيْنَ حَيِّزِ تِلْكَ اللِّثَةِ وَطَرَفِ اللِّسَانِ ، وَالانْتِقَالُ بَيْنَ المَخْرَجَيْنِ المُتَقَارِبَيْنِ يُشْبِهُ مِشْيَةَ المُقَيَّدِ ، وَمِنْ هُنَا كَانَ لَا بُدَّ أَنْ تَتَنَازَلَ اللَّامُ عَنْ هُوِيَّتِهَا الصَّوْتِيَّةِ ، وَتَنْتَقِلَ إِلَى نِطَاقِ مَخْرَجِ مَا بَعْدَهَا ؛ لِتُدْمَجَ فِيهِ ، وَإِنَّمَا جَازَ ذَلِكَ فِي لَامِ التَّعْرِيفِ ، وَلَمْ يَجُزْ فِي غَيْرِهَا لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِ لَامِ التَّعْرِيفِ ، مَعَ وُجُودِ الهَمْزَةِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ ، وَقَدِ اصْطَلَحَ العُلَمَاءُ عَلَى بَقَاءِ الرَّسْمِ لِلَّامِ دَلِيلاً آخَرَ عَلَيْهَا .

فَمُمَاثَلَةُ لَامِ التَّعْرِيفِ لِمَا بَعْدَهَا هُنَا يَرْجِعُ إِلَى تَقَارُبِ المَخَارِجِ كَمَا ذَكَرَ النُّحَاةُ ؛ فَكَأَنَّ تَوَالِيَ لَامِ التَّعْرِيفِ وَهَذِهِ الحُرُوفِ هُوَ مِنْ قَبِيلِ تَوَالِي الأَمْثَالِ الَّذِي تَكْرَهُهُ العَرَبِيَّةُ ، وَمِنْ هُنَا فَقَدْ مُوثِلَتِ اللَّامُ لِمَا بَعْدَهَا ، إِذْ إِنَّ اللَّامَ هُنَا هِيَ الأَضْعَفُ ، إِذْ هِيَ مُلَازِمَةٌ أَبَدًا لِلسُّكُونِ فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ ، وَسُكُونُهَا هُنَا يَعْنِي أَنَّهَا فِي نِهَايَةِ مَقْطَعٍ مُغْلَقٍ ، بَيْنَمَا الأَصْوَاتُ التَّالِيَةُ تَكُونُ بِدَايَةً لِمَقْطَعٍ قَصِيرٍ ، وَمِنْ ثَمَّ فَهِيَ الأَقْوَى فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ ؛ وَلِذَلِكَ أَثَّرَتْ فِي اللَّامِ ؛ وَجَعَلَتْهَا مُمَاثِلَةً لَهَا .

- **الْمُمَاثَلَةُ بَيْنَ الصَّوَائِت :**

حِينَمَا يُسْتَثْقَلُ الانْتِقَالُ بَيْنَ حَرَكَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ أَثْنَاءَ نُطْقِ الأَحْرُفِ الْمُتَجَاوِرَةِ أَوِ الْمُتَقَارِبَةِ ؛ يَلْجَأُ النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ إِلَى إِحْدَاثِ الْمُمَاثَلَةِ بَيْنَهُمَا ؛ لِتَحْقِيقِ أَكْبَرِ قَدْرٍ مِنَ التَّنَاسُقِ وَالْمُرُونَةِ فِي تَتَابُعِ الْحَرَكَاتِ دَاخِلَ البِنْيَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَحْدُثُ مِنْ مُمَاثَلَةٍ بَيْنَ ضَمَّةِ ضَمِيرِ الغَائِبِ لِلْكَسْرَةِ فِي نَحْوِ : (بِـــهِ) ، إِذِ الأَصْلُ فِي حَرَكَةِ هَاءِ الغَائِبِ الضَّمُّ ، لَكِنَّ تَتَابُعَ الْكَسْرِ وَالضَّمِّ مُسْتَثْقَلٌ ؛ فَمُوثِلَتْ حَرَكَةُ الضَّمِيرِ مَعَ حَرَكَةِ حَرْفِ الْجَرِّ ، وَشَبِيهٌ بِهَذَا مَا حَدَثَ مِنْ مُمَاثَلَةٍ بَيْنَ ضَمَّةِ ضَمِيرِ الغَائِبِ الْمَسْبُوقِ بِنِصْفِ الحَرَكَةِ (**Semi-vowel**) فِي نَحْوِ قَوْلِهِمْ : (عَلَيْهِ ، وَعَلَيْهِمْ ، وَعَلَيْهِنَّ) ، يَقُولُ « **Brockelmann** » : " تَتَحَوَّلُ الضَّمَّةُ القَصِيرَةُ الخَالِصَةُ (**U**) فِي ضَمِيرِ النَّصْبِ وَالجَرِّ الغَائِبِ الْمُفْرَدِ الْمُذَكَّرِ (**hu**)، وَالْجَمْعِ الْمُذَكَّرِ (**hum**)، وَالْمُؤَنَّثِ

(**hunna**) ، وَالْـمُثَنَّى (**humā**) إِلَى كَسْرَةٍ قَصِيرَةٍ خَالِصَةٍ (**i**) أَوْ الصَّوْتِ الْـمُرَكَّبِ (**ay**) ، مثل :

(**riğlihu**) ← (**riğlihi**) ، (رِجْلِهِ) .

(**Ḳāḍīhum**) ← (**ḍāḍīhim**) (قَاضِيهِمْ) .

(**alayhunna**) ← (**alayhinna**) (عَلَيْهِنَّ) . "[1]

وَمِنَ الْمُمَاثَلَةِ بَيْنَ الْحَرَكَاتِ مَا نَجِدُهُ فِي بِنْيَةِ (مُـنْـذُ) ، وَالأَصْلُ فِيهَا كَمَا ذَكَرَ الْفَرَّاءُ : أَنَّهَا " مُرَكَّبَةٌ مِنْ (مِنْ) ، وَ (ذُو) بِمَعْنَى (الَّذِي) فِي لُغَةِ طَيِّئٍ "[2] ، وَنَشَأَتْ (مُنْذُ) عَنْ طَرِيقِ الْمُمَاثَلَةِ الصَّوْتِيَّةِ ، إِذْ أُبْدِلَتْ كَسْرَةُ الْمِيمِ ضَمَّةً لِتُمَاثِلَ ضَمَّةَ الذَّالِ ثُمَّ حَذَفَتْ تَقْصِيرٌ لِلْحَرَكَةِ الطَّوِيلَةِ فِي (ذُو) فَأَصْبَحَتْ (مُنْذُ) ، وَهُوَ تَأَثُّرٌ مُدْبِرٌ كُلِّيٌّ فِي حَالَةِ الاِنْفِصَالِ ، وَيُؤَكِّدُ ذَلِكَ أَنَّ " كَلِمَةَ emza' (*H*oy ʔ) فِي الْحَبَشِيَّةِ ، تُقَابِلُ كَلِمَةَ :

(مُنْذُ) العَرَبِيَّةَ ، وَهِيَ فِي الْحَبَشِيَّةِ مُرَكَّبَةٌ مِنْ : em' بمعنى : (مِنْ) ، و za بِمَعْنَى اسْمِ الْمَوْصُولِ (ذُو) الطَّائِيَّةِ ، قَدْ حُكِيَ عَنْ بَنِي سُلَيْمٍ : مَا رَأَيْتُهُ مُنْذُ سِتٍ بِكَسْرِ الْمِيمِ . وَهَذَا كُلُّهُ يَدَلُّ عَلَى أَنَّ أَصْلَ (مُنْذُ) العَرَبِيَّةَ : (مِنْ + ذُو) ؛ فَقُلِبَتْ كَسْرَةُ الْمِيمِ ضَمَّةً ، تَأَثُّرًا بِضَمَّةِ الذَّالِ بَعْدَهَا."[3]

- **الْمُمَاثَلَةُ بَيْنَ الصَّوَامِتِ وَالصَّوَائِتِ :**

مِنَ الثَّابِتِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ بِحَالٍ أَنْ تَتَحَوَّلَ الصَّوَائِتُ إِلَى صَوَامِتَ ، أَوْ أَنْ تَتَحَوَّلَ الصَّوَامِتُ إِلَى صَوَائِتَ ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ مَا نَعْنِيهِ هُنَا بِالْمُمَاثَلَةِ بَيْنَ الصَّوَائِتِ وَالصَّوَامِتِ هُوَ ذَلِكَ التَّأْثِيرُ الَّذِي تُحْدِثُهُ الصَّوَامِتُ فِي الصَّوَائِتِ لِتَسْتَحِيلَ إِلَى حَرَكَاتٍ تُنَاسِبُ

---

[1] فقه اللغات السامية – كارل بروكلمان – ترجمة الأستاذ الدكتور / رمضان عبد التواب : ٦٤ [الطبعة الأولى – ١٩٧٧م – من منشورات جامعة الرياض – المملكة العربية السعودية]

[2] شرح الرضي على الكافية : ٣ / ٢٠٩

[3] التطور اللغوي ــ د/ رمضان عبد التواب ٤٣ ، وانظر : التطور النحوي لبرجشتراسر : ٦٢ ، وبحوث في الاستشراق واللغة للدكتور إسماعيل أحمد عمايرة : ٣٢ وما بعدها .

طَبِيعَتَهَا ، وكَذَلِكَ التَّأْثِيرُ الَّذِي تُحْدِثُهُ الصَّوَائِتُ فِي الصَّوَامِتِ مِنْ خِلَالِ التَّغْيِيرِ فِي مَخَارِجِهَا أَوْ صِفَاتِهَا .

فَالظَّاهِرَةُ الأَكْثَرُ شُهْرَةً وَشَيْعُوعَةً الَّتِي تُعَبِّرُ عَنْ تَأْثِيرِ الصَّوَائِتِ فِي الصَّوَامِتِ مَا يُعْرَفُ بِالتَّحْنِيكِ أَوْ التَّغْوِيرِ (**Palatalisation**) ، حِينَ تُؤَثِّرُ الْحَرَكَاتُ الأَمَامِيَّةُ كَالْكَسْرَةِ الْخَالِصَةِ ، وَالْكَسْرَةِ الْمُمَالَةِ فِي أَصْوَاتِ أَقْصَى الْحَنَكِ كَالْقَافِ ، والْجِيمِ ، والكَافِ ، إِذْ يُؤَدِّي هَذَا التَّأْثِيرُ إِلَى إِحْدَاثِ قَدْرٍ مِنَ التَّقْرِيبِ وَالانْسِجَامِ بَيْنَ هَذِهِ الصَّوَامِتِ الْخَلْفِيَّةِ وَالْحَرَكَاتِ الأَمَامِيَّةِ ، فَتَجْتَذِبُ هَذِهِ الْحَرَكَاتُ الأَمَامِيَّةُ تِلْكَ الصَّوَامِتَ الْخَلْفِيَّةَ إِلَى الأَمَامِ قَلِيلًا ؛ فَتَنْقَلِبُ إِلَى نَظَائِرِهَا مِنْ أَصْوَاتِ وَسَطِ الْحَنَكِ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَاحَدَثَ لِصَوْتِ الجِيمِ الْقَاهِرِيَّةِ ، فالنُّطْقُ الأَصْلِيُّ[1] لِهَذَا الصَّوْتِ كَانَ بِغَيْرِ (تَعْطِيشٍ) كَالْجِيمِ الْقَاهِرِيَّةِ تَمَامًا ، أَمَّا الْفُصْحَى فَقَدْ تَحَوَّلَ فِيهَا مَخْرَجُ هَذَا الصَّوْتِ مِنَ الطَّبَقِ إِلَى الْغَارِ ؛ أَيْ مِنْ أَقْصَى الْحَنَكِ إِلَى أَوْسَطِهِ مَعَ تَحَوُّلِهِ مِنْ صَوْتٍ بَسِيطٍ إِلَى صَوْتٍ مُزْدَوَجٍ يَبْدَأُ بِدَالٍ مِنَ الْغَارِ ، وَيَنْتَهِي بِشِينٍ مَجْهُورَةٍ ، وَاقْتَصَرَ هَذَا فِي الْبِدَايَةِ عَلَى الْجِيمِ الْمَكْسُورَةِ ثُمَّ طُرِدَ القِيَاسُ فِي كُلِّ جِيمٍ .[2]

وَمَا حَدَثَ فِي الْجِيمِ الْقَاهِرِيَّةِ حَدَثَ مِثْلُهُ لِصَوْتِ الْكَافِ فِيمَا يُعْرَفُ بِالْكَسْكَسَةِ ، والْكَشْكَشَةِ ؛ إِذْ تُقْلَبُ الْكَافُ إِلَى (تْسْ) فِي الْكَسْكَسَةِ ، وَإِلَى (تْشْ) فِي الْكَشْكَشَةِ ، وَحَدَثَ هَذَا وَفْقَ قَاعِدَةِ التَّحْنِيكِ مَعَ الكَافِ المَكْسُورَةِ ، ثُمَّ طُرِدَ بِالْقِيَاسِ فِيمَا عَدَاهَا .

وَفِي الْمُقَابِلِ تُؤَثِّرُ الصَّوَامِتُ فِي الْحَرَكَاتِ الْمُجَاوِرَةِ تَأْثِيرًا كَبِيرًا ؛ فَتُؤَثِّرُ فِي مَخْرَجِهَا ، وَفِي صِفَاتِهَا ، بَلْ قَدْ تُغَيِّرُهَا إِلَى مَا يُنَاسِبُ طَبِيعَتَهَا ، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ «**Brockelmann** » حِينَ قَالَ :" تَتَأَثَّرُ الْحَرَكَاتُ الثَّلَاثُ الأَصْلِيَّةُ : الْفَتْحَةُ وَالْكَسْرَةُ وَالضَّمَّةُ ، فِي كُلِّ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ ، وَعَلَى الأَخَصِّ فِي الْعَرَبِيَّةِ بِمَا حَوْلَهَا مِنَ الأَصْوَاتِ الصَّامِتَةِ ، وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي السَّامِيَّةِ الْقَدِيمَةِ ."[3]

---

[1] وَفْقًا للمقارنات السامية ؛ انظر : التطور اللغوي ، مظاهره وعلله وقوانينه – د / رمضان عبد التواب : ١٣٢

[2]: انظر : التطور اللغوي ، مظاهره وعلله وقوانينه – د / رمضان عبد التواب :

[3] فقه اللغات السامية – كارل بروكلمان : ٥٣

فَمَخْرَجُ الصَّامت قَدْ يُؤَثِّرُ فِي مَخْرَجِ الْحَرَكَة تَقَدُّمًا وَتَأَخُّرًا وَفْقَ الصَّامت الَّذِي يَتْبَعُ هَذِهِ الْحَرَكَةَ ، فَمَخْرَجُ الضَّمَّةِ فِي (مُدَّ) أَكْثَرُ أَمَامِيَّةً مِنْهُ فِي (جُدْ) ، وَهُوَ أَكْثَرُ خَلْفِيَّةً فِي (عُدْ) منه في (جُدْ) .

ولَا يَقْتَصِرُ التَّأْثِيرُ عَلَى مَخَارِجِ الْحَرَكَات ، بَلْ يَمْتَدُّ إِلَى صِفَاتِهَا ؛ فَالْفَتْحَةُ تُفَخَّمُ بَعْدَ الأَصْوَاتِ الْمُفَخَّمَةِ ، وَهِيَ الصَّادُ وَالضَّادُ وَالطَّاءُ وَالظَّاءُ ، فَنَجِدُهَا مُفَخَّمَةً فِي نَحْوِ (صَبَرَ) ، بَيْنَمَا تَكُونُ بَيْنَ التَّفْخِيمِ وَالتَّرْقِيقِ مَعَ القَافِ وَالْخَاءِ وَالْغِينِ ، وَمِنْ ثَمَّ فَهِيَ بَيْنَ التَّفْخِيمِ وَالتَّرْقِيقِ فِي نَحْوِ: (قَبَرَ) ، وَتَكُونُ مُرَقَّقَةً مَعَ بَاقِي الأَصْوَاتِ ، كَمَا فِي (سَبَرَ) ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ التَّفْخِيمَ فِي الْفَتْحَةِ هُنَا لَيْسَ أَمْرًا ذَاتِيًّا فِيهَا ، وَإِنَّمَا تَكْتَسِبُهُ مِنَ السِّيَاقِ .

وَقَدْ يَمْتَدُّ تَأْثِيرُ الصَّوَامِتِ فِي الْحَرَكَاتِ إِلَى تَغْيِيرِ كُلِّيٍّ ؛ فَتُغَيَّرُ الْحَرَكَةُ إِلَى أُخْرَى تُنَاسِبُ طَبِيعَةَ الصَّامِتِ ، فَالأَصْلُ فِيمَا كَانَ مَاضِيهِ عَلَى (فَعَلَ) مَفْتُوحَ الْعَيْنِ ، أَنْ يَأْتِيَ مُضَارِعُهُ بِالضَّمِّ أَوْ بِالْكَسْرِ ؛ نَحْوُ : (قَتَلَ يَقْتُلُ) ، أَوْ (ضَرَبَ يَضْرِبُ) ، فَإِذَا كَانَتْ عَيْنُ الْفِعْلِ أَوْ لَامُهُ حَرْفًا حَلْقِيًّا جَاءَ مُضَارِعُهُ بِالْفَتْحِ دُونَ الضَّمِّ وَالْكَسْرِ ، ذَلِكَ أَنَّ اللِّسَانَ أَثْنَاءَ نُطْقِ الأَحْرُفِ الْحَلْقِيَّةِ يَنْجَذِبُ إِلَى الْوَرَاءِ مَعَ بَسْطٍ وَتَسْطِيحٍ ، وَهُوَ مَا يُنَاسِبُ نُطْقَ الْفَتْحَةِ ؛ كَمَا فِي (سَأَلَ يَسْأَلُ) ، وَ (ذَبَحَ يَذْبَحُ) ، وَ (زَرَعَ يَزْرَعُ) ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ

آليَّةُ الْحَذْف

حِينَ تَسْتَعْصِي بَعْضُ الأَلْفَاظِ عَلَى التَّشْذِيبِ والتَّهْذِيبِ والصَّقْلِ ، حَيْثُ تَتَوَضَّعُ خِلَالَهَا تَجَمُّعَاتٌ عَسِيرَةٌ ، أَوْ أَشْكَالٌ صَوْتِيَّةٌ ثَقِيلَةٌ ، فَإِنَّ النِّظَامَ اللُّغَوِيَّ فِي سَعْيِهِ الدَّائِبِ لِلوُصُولِ إِلَى التَّشَكُّلَاتِ الصَّوْتِيَّةِ المُتَنَاسِقَةِ وَتَيْسِيرِ الجُهْدِ العِلَاجِيِّ يَلْجَأُ إِلَى آلِيَّاتٍ أَكْثَرَ جُرْأَةً تَتَصَدَّى لِهَذِهِ التَّجَمُّعَاتِ بِالْحَذْفِ وَالبَتْرِ وَالاسْتِبْعَادِ ، فَيُزِيلُ الحَوَاجِزَ والنُّتُوءَاتِ والعَثَرَاتِ ؛ لِيَزُولَ الثِّقْلُ والتَّعَذُّرُ مُحَافِظًا عَلَى الدَّلَالَاتِ الصَّرْفِيَّةِ وَالإِعْرَابِيَّةِ ، وَمُحَقِّقًا لِلتَّمَايُزِ بِالصُّورَةِ الَّتِي يُؤْمَنُ مَعَهَا اللَّبْسُ .

يَقُولُ « **Bertil Malmberg** »: " إِذَا اقْتَصَرَ نُطْقُ الْفَرْدِ عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْفُونِيمَاتِ فِي السِّلْسِلَةِ الْكَلَامِيَّةِ مَرَّةً وَاحِدَةً ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْطِقَهَا مَرَّتَيْنِ ، سُمِّيَ هَذَا بِالْحَذْفِ التَّسْهِيلِيِّ أَوْ الِاخْتِزَالِيِّ «**Haplology** »، أو« **Hapaxepy** » ."[1]

وَيَقُولُ « **Brockelmann** » : " إِذَا تَوَالَى مَقْطَعَانِ ، أَصْوَاتُهُمَا الصَّامِتَةُ مُتَمَاثِلَةٌ ، أَوْ مُتَشَابِهَةٌ جِدًّا ، الْوَاحِدُ بَعْدَ الآخَرِ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ ؛ فَإِنَّهُ يُكْتَفَى بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا ، بِسَبَبِ الِارْتِبَاطِ الذِّهْنِيِّ بَيْنَهُمَا "[2]

فَحِينَ تَتَوَضَّعُ تَاءَانِ فِي أَوَّلِ الْمُضَارِعِ فِيمَا هُوَ عَلَى مِثَالِ (تَفَعَّل ، وتَفَاعَل ، وتَفَعْلَل) بَعْدَ إِضَافَةِ مُورفِيمِ الْمُضَارَعَةِ (التَّاءِ) ؛ فَإِنَّهَا تُصْبِحُ : (تَتَفَعَّل ، وتَتَفَاعَل ، وتَتَفَعْلَل) ، وَلَا يَخْفَى مَا فِي ذَلِكَ مِنْ ثِقَلٍ نَاتِجٍ عَنْ تَوَالِي الْمَقْطَعِ الْقَصِيرِ (**ta**) فِي أَوَّلِ هَذِهِ الصِّيَغِ ، وَهُوَ تِكْرَارٌ يَسْتَعْصِي عَلَى الإِدْغَامِ ؛ لِأَنَّ الْعَرَبِيَّةَ لَا تَقْبَلُ الِابْتِدَاءَ بِسَاكِنٍ ، وَالْمُضَارِعُ لَا يَقْبَلُ هَمْزَةَ الْوَصْلِ ؛ فَكَانَ الْحَذْفُ لِلْمَقْطَعِ الْقَصِيرِ الْمَفْتُوحِ لِتَيْسِيرِ النُّطْقِ ، وَتَخْفِيفِ العُسْرِ الْعِلَاجِيِّ ؛ وَمِنْ هُنَا"فَالْكَثِيرُ فِي الْعَرَبِيَّةِ الاكْتِفَاءُ بِتَاءٍ وَاحِدَةٍ ، وَفِي الْقُرْآنِ أَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ لِذَلِكَ ، فَفِيهِ مَثَلًا ﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ ١٧ مَرَّةً بِالْحَذْفِ ، فِي مُقَابِلِ : ﴿ تَتَذَكَّرُونَ ﴾ ٣ مَرَّاتٍ بِلَا حَذْفٍ ، كَمَا يُقَابِلُنَا فِيهِ مَثَلًا : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنْ

---

[1] الصوتيات ــ برتيل مالمبرج : ١٢٢

[2] فقه اللغات الساميَّة ــ كارل بروكلمان : ٧٩

الْغَيْظِ ﴾[1]، بَدَلًا مِنْ ﴿ تَتَمَيَّزُ ﴾ ، و﴿ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴾[2]، بَدَلًا مِنْ ﴿ تَتَلَهَّى ﴾ ، ﴿ نَاراً تَلَظَّى ﴾[3]، بَدَلًا مِنْ : ﴿ تَتَلَظَّى ﴾ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ."[4]

وَمِنَ الْمُلَاحَظِ هُنَا أَنَّ التَّاءَيْنِ زَائِدَتَانِ ، وَأَنَّ الْحَذْفَ جَائِزٌ لَا وَاجِبٌ ، طَلَبًا لِلخِفَّةِ ، وَنُزُوعًا نَحْوَ التَّيْسِيرِ ، فِيمَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ [5]؛ وَالنِّظَامُ اللُّغَوِيُّ لِلْعَرَبِيَّةِ يَكْرَهُ تَوَالِيَ الأَمْثَالِ الْمُتَتَابِعَةِ ؛ فَيَلْجَأُ إِلَى حَذْفِ أَحَدِ هَذَيْنِ الْمَقْطَعَيْنِ الْمُتَمَاثِلَيْنِ تَخَلُّصًا مِنَ الثِّقَلِ النَّاتِجِ عَنْ تَتَابُعِهُمَا ، دُونَ أَنْ نَخُوضَ فِي خِلَافَاتٍ عَقِيمَةٍ حَوْلَ كَوْنِ أَيِّهِمَا الْمَحْذُوفَةَ ، وَخَاصَّةً أَنَّ كِلْتَا التَّاءَيْنِ زَائِدَةٌ ، فَالأُولَى تَاءُ الْمُضَارَعَةِ ، وَالثَّانِيَةُ تَاءُ الْمُطَاوَعَةِ ،"وَاعْتِبَارَاتُ الصِّيغَةِ لَا يُمْكِنُ إِهْمَالُهَا ، وَإِلَّا اضْطَرَبَتِ الصِّيَغُ ، وَفَقَدَتْ تَمَيُّزَهَا "[6] ، وَمِنْ ثَمَّ فَلَا يُهِمُّ تَعْيِينُ الْمَحْذُوفِ ؛ لأَنَّ الْحَذْفَ كَانَ فِي إِطَارِ صَوْتِيٍّ مَحْضٍ لَا يَلْزَمُ مَعَهَا تَعْيِينُ الْمَحْذُوفِ ؛ فَلَيْسَتْ إِحْدَى التَّاءَيْنِ أَوْلَى بِالْحَذْفِ أَوْ الإِثْبَاتِ مِنَ الأُخْرَى ، وَإِنَّمَا كَانَ الْحَذْفُ نُزُوعًا إِلَى التَّخْفِيفِ .

وَكَذَلِكَ حِينَ تَتَوَضَّعُ هَمْزَتَانِ فِي أَوَّلِ الفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمُسْنَدِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ فَإِنَّ النِّظَامَ اللُّغَوِيَّ لِلعَرَبِيَّةِ يَنْزِعُ إِلَى الْمُخَالَفَةِ بَيْنَهُمَا عَنْ طَرِيقِ حَذْفِ أَحَدِ الْمَقْطَعَيْنِ الْمُتَمَاثِلَيْنِ الْمُتَتَابِعَيْنِ « **Haplology** » ؛ لِتَخْفِيفِ العِلَاجِ الصَّوْتِيِّ ؛ فَفِي نَحْوِ قَوْلِنَا

---

[1] الـمُلك : ٦٧ / ٨

[2] عبس : ٨٠ / ١٠

[3] الليل : ٩٢ / ١٤

[4] التطور اللغوي ــ د / رمضان عبد التواب : ٤٥

[5] اختلف البصريُّون و الكوفيُّون في أيِّ التاءين المحذوفة ، أهي تاء المضارعة الأولى ؟ ، أم تاء الصيغة الثانية ؟ . فـذهب البصريُّون إلى أنَّ المحذوفة هي تاء الصيغة الثانية ، وليست تاء المضارعة الأولى ؛ وذلك أنَّ التاء الثانية كما تعتل بالإسكان والإدغام ، تعتل كذلك بالحذف ، كذلك قالوا بأنَّه " إنَّما قلنا إنَّ حذف الأصلية أولى من الزائدة ؛ لأنَّ الزائدة دخلت لمعنـى ، وهو المضارعة ، والأصلية ما دخلت لمعنى ؛ فلمَّا وجب حذف إحداهما ، كان حذف مالم يدخل لمعنـى أولـى . وخـالفهم الكوفيُّون بأنَّ المحذوف منهما هي تاء المضارعة الأولى " لأنَّه لـمَّا اجتمع في أول هذا الفعل حرفان متحركان من جـنس واحد ــ وهما التاء المزيدة للمضارعة ، والتـاء الأصلية ــ استثقلوا اجتماعهما ؛ فوجب أن تحذف إحداهما ؛ فلا يخلو : إمَّا أن تحذف الزائدة أو الأصلية ، فكان حذف الزائدة أولى من الأصلية ؛ لأنَّ الزائد أضعف من الأصلي ، والأصلي أقوى من الزائد ، فلمَّا وجب حذف أحدهما كان حذف الأضعف أولى من حذف الأقوى . " [الإنصاف في مسائل الخـلاف ــ لأبـي البركات الأنباري : ٢ / ٦٤٨ ، مسألة : ٩٣ ، والحقُّ أن تاء المضارعة ، وتاء المطاوعة داخلتان لمعنى ؛ فتأمَّل فساد هذا القول !]

[6] بحوث ومقالات في اللغة ــ د / رمضان عبد التواب : ٣١

: أُكْرِمُ ، الأَصْلُ فِيهِ : أُؤَكْرِمُ ، وَهُنَا تَجْتَمِعُ هَمْزَتَانِ هَمْزَةُ الْمُضَارَعَةِ ، وَهَمْزَةُ أَفْعَلَ ؛ فَعَمَدَ النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ إِلَى حَذْفِ الْهَمْزَةِ الثَّانِيَةِ ؛ نَظَرًا لِلْوَظِيفَةِ الصَّرْفِيَّةِ الَّتِي تُؤَدِّيهَا هَمْزَةُ الْمُضَارَعَةِ هُنَا .

ثُمَّ يَأْتِي القِيَاسُ بَعْدَ ذَلِكَ لِيُحَقِّقَ الانْسِجَامَ لِعَنَاصِرِ النِّظَامِ اللُّغَوِيِّ ، وَيُحْدِثَ نَوْعًا مِنَ الاطِّرَادِ فِي التَّغْيِيرَاتِ ؛ فَيَطَّرِدَ البَابَ كُلَّهُ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ تَحْقِيقًا لِلاتِّسَاقِ فِي الصُّورَةِ ، وَالاشْتِرَاكِ فِي الدِّلَالَةِ ، وَذَلِكَ فِي نَحْوِ : (نُكْرِمُ ، و تُكْرِمُ ، و يُكْرِمُ) ؛ فَالْحَذْفُ فِي بَاقِي صِيَغِ الْمُضَارَعَةِ ، والتَّصَارِيفِ الأُخْرَى جَاءَ حَمْلاً عَلَى الصِّيغَةِ الأُولَى طَرْدًا لِلْبَابِ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَكَثِيرًا مَا يَرِدُ التَّصَرُّفُ فِي الصِّيَغِ لأَسْبَابٍ بَعِيدَةٍ عَنِ الْمُنَاوءَاتِ الصَّوْتِيَّةِ ، بَلْ لأَجْلِ أَنْ تَصِيرَ الْبِنْيَةُ نَظِيرَةَ مَا تُشَارِكُهُ فِي الْمَبْنَى وَ الْمَعْنَى لِمَقَاصِدَ شَكْلِيَّةٍ ، وَهُوَ " مَذْهَبٌ مُطَّرِدٌ فِي كَلَامِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ ،كَثِيرٌ فِي اسْتِعْمَالَاتِهِمْ ، حَيْثُ يَحْمِلُونَ الشَّيْءَ عَلَى حُكْمِ نَظِيرِهِ ؛ لِقُرْبِ مَا بَيْنَهُمَا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي أَحَدِهِمَا مَا فِي الآخَرِ مِمَّا أَوْجَبَ لَهُ الْحُكْمَ ، وَمِنْ ثَمَّ قَالُوا : " نُكْرِمُ ، وَتُكْرِمُ ، وَيُكْرِمُ ؛ فَحَذَفُوا الْهَمْزَةَ ، وَإِنْ كَانُوا لَوْ جَاءُوا بِهَا لَمَا اجْتَمَعَ هَمْزَتَانِ ، وَلَكِنَّهُمْ أَرَادُوا الْمُمَاثَلَةَ ، وَكَرِهُوا أَنْ يَخْتَلِفَ الْمُضَارِعُ فَيَكُونَ مَرَّةً بِهَمْزَةٍ وَأُخْرَى بِغَيْرِ هَمْزَةٍ ، مُحَافَظَةً مِنْهُمْ عَلَى التَّجْنِيسِ فِي كَلَامِهِمْ " [1]

فَالنِّظَامُ اللُّغَوِيُّ لِلعَرَبِيَّةِ مُلْتَزِمٌ بِحَذْفِ إِحْدَى الْهَمْزَتَيْنِ إِذَا الْتَقَتَا فِي مَقْطَعَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؛" فَلَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ أَنْ تَلْتَقِيَ هَمْزَتَانِ ؛ فَتُحَقَّقَا "[2]، وَهَذَا مَا عَلَيْهِ كَلَامُ الْعَرَبِ ، وَمَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ النَّحَاةُ إِلَّا « **ابن أبي إسحاق الحضرميّ** » الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَرَى بَأْسًا مِنْ تَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ ، بَيْنَمَا وَصَفَ « **سيبويه** » تَحْقِيقَهُمَا بِأَنَّهُ رَدِيءٌ .[3]

[1] المنصف ــ ابن جني : ١ / ١٩٢

[2] الكتاب ــ سيبويه : ٣ / ٥٤٩

[3] انظر : الكتاب : ٤ / ٤٤٣

وَيُقَرِّرُ « **برجشتراسر**» :" أَنَّهُ إِذَا وَقَعَ هَمْزَتَانِ فِي أَوَّلِ مَقْطَعَيْنِ مُتَتَالِيَيْنِ ، خُفِّفَتِ الثَّانِيَةُ ، وَهَذَا النَّوْعُ قِسْمَانِ : مِنْهُ مَا يَكُونُ مَقْطَعُهُ الأَوَّلُ مِنْ الْهَمْزَةِ الْمُتَحَرِّكَةِ فَقَط ، وَمِنْهُ مَا تَرَكَّبَ مَقْطَعُهُ الأَوَّلُ مِنْ الْهَمْزَةِ الْمُتَحَرِّكَةِ وَحَرْف سَاكِن."[1]

ثُمَّ يُضِيفُ أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ مِنْ أَمْثِلَةِ القِسْمِ الأَوَّلِ"صِيغَةُ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ مُضَارِعِ الأَفْعَالِ الرُّبَاعِيَّةِ ؛ فَإِنَّهَا أُفْعِلُ ، وَأَصْلُهَا : أُأَفعِلُ ، نَحْوُ : **ušakšid** فِي الأَكَدِيَّةِ ، والشِّينُ الأَكَدِيَّةُ تُقَابِلُ الْهَمْزَةَ الْعَرَبِيَّةَ ، فَحُذِفَتِ الْهَمْزَةُ الثَّانِيَةُ مَعَ حَرَكَتِهَا ، وَعَلَى قِيَاسِ هَذِهِ الصِّيغَةِ ، حُذِفَ الْهَمْزُ مِنْ سَائِرِ الصِّيَغِ أَيْضًا ؛ فَقَالُوا : يُفْعِلُ ، بَدَلَ يُؤَفْعِل ... إلخ"[2]

وَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ قَدْ تَخَلَّصَتْ مِنَ الْهَمْزِ فِي هَذِهِ الأَمْثِلَةِ وَغَيْرِهَا رَغْبَةً فِي الْمُخَالَفَةِ ، وَ كَرَاهَةً لِتَوَالِي الأَمْثَالِ فِي أَبْنِيَتِهَا ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ حَذْفِ أَحَدِ الْمَقْطَعَيْنِ الْمُتَمَاثِلَيْنِ تَخْفِيفًا لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ ، فَقَدْ بَقِيَتْ لَنَا أَمْثِلَةٌ شَاذَّةٌ جَاءَتْ عَلَى الأَصْلِ بِإِثْبَاتِ الْهَمْزِ ، وَهْيَ بِمَثَابَةِ رُكَامٍ لُغَوِيٍّ لِتِلْكَ الظَّاهِرَةِ ، **وَمِنْهَا قَوْلُ الرَّاجِزِ** :

فَإِنَّهُ أَهْلٌ لِأَنْ يُؤَكْرَمَا [3]

وَقَوْلُ الآخَرِ :

وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنَ [4]

وَقَوْلُ « **ليلى الأخيلية** » تَصِفُ قَطًا :

تَدَلَّتْ عَلَى حُصٍّ ظِمَاءٍ كَأَنَّهَا *** كُرَاتُ غُلَامٍ فِي كِسَاءٍ مُؤَرْنَبِ [5]

---

[1] التطور النحوي ــ برجشتراسر : ٤٠ ، وقد جعل من أمثلة القسم الأول نحو (أيمة) إذ أصلها : (أئمة) ومقطعها الأول هو الهمزة المتحركة (أ) فخففت الهمزة الثانية وأبدلت ياءً . وجعل من أمثلة القسم الثاني نحو : (أرَيْتُ) إذ أصلها : (أرْأَيْتُ) فحذفت الهمزة الثانية .

[2] التطور النحوي ــ برجشتراسر : ٤١

[3] البيت من **الرجز المشطور** وقد نسبه العيني **لأبي حيَّان الفقعسي** ، وقيل **للعجاج** ، وقيل **لعبد بني عبس** ، انظر هامش خزانة الأدب ٥٧٨/٤ ، و انظر شرح شواهد الشافية ٥٨/٤ ، و هو بلا نسبة في الإنصاف : ١ / ٧ ، و ١ / ١٤٨ ، والخصائص : ١ / ١٤٤، والمنصف : ١ / ١٩٢، والدرر : ٦ / ٣١٩ ، و شرح الأشموني : ٤ / ٣٤٣ ، والهمع: ٢/ ٢١٨

[4] البيت من **مشطور الرجز** وقد نسبه سيبويه **لخِطام المجاشِعيّ** ١/ ٣٢ ، وهو في الخزانة ١ / ٣٦٧ ، ٢ / ٣٥٣ ، وشرح شواهد الشافية ٤٩ ، والصاليات هي الأثافي التي توضع تحت القدر ، والكاف الأولى في قوله : (ككما) زائدة ، ويقال : (أُثْفَيْتُ أُثْفِيةً) إذا نصبتها ، وقوله : (ككما يؤثفين) أي كمثل حالها .

[5] البيت من **الطويل** في ديوانها : ص ٥٦ ، وفي الكتاب : ٤ / ٢٨٠ ، والمنصف : ١٩٢/١

وَمِنْ صُوَرِ الْحَذْفِ وَالْبَتْرِ فِي الْبِنْيَةِ أَيْضًا حَذْفُهُمْ عَيْنَ الْفِعْلِ الْمَاضِي الْمُضَاعَفِ ، الْمُتَّصِلِ بِتَاءِ الضَّمِيرِ أَوْ نُونِه فِي قَوْلِهِمْ : (ظَـلْتُ[1]، ومَسْتُ ، وَأَحَسْتُ) ، بِحَذْفِ أَحَدِ الصَّامِتَيْنِ الْمُتَمَاثِلَيْنِ فِي حَشْوِ الْكَلِمَةِ تَخْفِيفًا ؛ إِذِ الأَصْلُ فِيهَا جَمِيعًا : (ظَلَلْتُ ، ومَسِسْتُ ، وأَحْسَسْتُ) ؛ حَيْثُ كَرِهُوا تَوَالِيَ مُتَمَاثِلَيْنِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مَعَ تَعَذُّرِ الإِدْغَامِ ؛ لِسُكُونِ ثَانِيهِمَا ؛ فَحَذَفُوا أَوَّلَهُمَا الْمُتَحَرِّكَ مَعَ حَرَكَتِه عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ، وَفِي إِطَارِ لَهَجِيٍّ قَامَ بَعْضُهُمْ بِحَذْفِه بَعْدَ نَقْلِ حَرَكَتِه إِلَى مَا قَبْلَهُ ؛ فَقَالَ : (ظِلْتَ) ؛ فَأَعْدَبُ التَّأْلِيفِ مَا تَبَاعَدَتْ حُرُوفُـهُ ، وَتَبَايَنَتْ مَخَارِجُهُ ، يَقُولُ « **سيبويه** » :"وَمِنَ الشَّاذِّ قَوْلُهُمْ : أَحَسْتُ ، ومَسْتُ ، وظَلْتُ . لَـمَّا كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ كَرِهُوا التَّضْعِيفَ ، وكَرِهُوا تَحْرِيكَ هَذَا الْحَرْفَ الَّذِي لَا تَصِلُ إِلَيْهِ الْحَـرَكَةُ فِي فَعَلْتُ،و فَعَلْنَ الَّذِي هُوَ غَيْرُ مُضَاعَفٍ ."[2]

وَعَلَيْهِ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَظَلْـتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾[3]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً ﴾[4] ، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ :

خَلاَ أَنَّ العِتَاقَ من الْمَطَايَا *** **أَحَسْنَ** به فَهُنَّ إِلَيْهِ شُوسُ [5]

وَالأَصْلُ : أَحْسَسْنَ .

وَرُبَّمَا تَطَاوَلَ الْبَتْرُ وَالْحَذْفُ لِيَمْتَدَّ إِلَى السَّاكِنِ الْمُدْغَمِ أَيْضًا كَمَا حَذَفُوا التَّاءَ الأُولَى الْمُبْدَلَةَ مِنْ فَاءِ الفِعْـلِ فِي نَحْوِ: يَتَّسِعُ ، و يَتَّقِي ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّاءَ تُبْدَلُ كَثِيرًا مِنَ الوَاوِ فِي نَحْوِ: اتَّقَى يتَّقِي ، وَاتَّسَعَ يتَّسِعُ ، وَاتَّجَهَ يَتَّجِهُ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَمْثِلَةِ ، إِذِ الأَصْلُ فِي نَحْوِ اتَّقَى: اوْتَقَى ؛ لِأَنَّهُ افْتَعَلَ مِنَ الْوِقَايَةِ ؛ فَقُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِانْكِسَارِ مَا قَبْلَهَا ، ثُمَّ أُبْدِلَتْ مِنْهَا التَّاءُ ، وَأُدْغِمَتْ فِي تَاءِ الصِّيغَةِ ؛ فَصَارَتْ: اتَّقى، قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَفَمَنْ

---

[1] تنطق بكسر الظاء وفتحها على الأصل ؛ فمن كسرها حذف اللام وألقى حركتها على الظاء ، ومن فتحها حذف اللام وحركتها ، انظر : البيان في غريب إعراب القرآن : ٢ / ٤١٨

[2] الكتاب ــ سيبويه : ٤ / ٤٨٢

[3] الواقعة : ٥٦ / ٦٥

[4] طــه : ٢٠ / ٩٧

[5] البيت من الوافر لأبي زيد الطائي في ديوانه : ٩٦ ، والأمالي للقالي : ١ / ١٧٦ ، وسمط اللآلي : ٤٣٨ ، والاقتضاب : ٢٩٩ ، والمعرب للجواليقي : ١٣٥ ، والخصائص لابن جني : ٤٤١/٢

يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ [1] ، بَيْدَ أَنَّهُمْ قَالُوا : يَتَقِي ، بِبَتْرِ التَّاءِ الأُولَى ، وَتُحْذَفُ مَعَهَا همزة الوصل في صيغة الماضي ، لِيَتَطَاوَلَ الْحَذْفُ مَقْطَعًا مُتَوَسِّطًا مُغْلَقًا .

قال الشاعر :

تَقَاكَ بِكَفٍّ واحد وتَلَــذُّهُ *** يَدَاكَ إِذَا مَا هُزَّ بِالكَفِّ يَعْسِلُ [2]

بَلْ إِنَّه إِذَا تَعَذَّرَ التَّصَرُّفُ بِاسْتِبْعَادِ أَوَّلِهِمَا السَّاكِنِ لِمَا يُشَكِّلُهُ مِنْ ثِقَلٍ فِي الأَدَاءِ تَطَاوَلَ النِّظَامُ إِلَى ثَانِيهِمَا الْمُتَحَرِّكِ بِالْحَذْفِ ، وبَتَرَ صَوْتَيْنِ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، وَهُمَا الْحَرْفُ الصَّامِتُ مَعَ حَرَكَتِهِ ؛ فَقَالُوا : سَيْدٌ ، مَيْتٌ ، لَيْنٌ ، كَيْنُونَةٌ ، شَيْخُوخَة ، دَيْمُومَةٌ ، ليتم التَّخَفُّفُ من توالي المقاطع المتماثلة ؛ فيختزل نحو

(مَيِّت) ⟵ (مَيْت)

(هَيِّن) ⟵ (هَيْن)

(لَيِّن) ⟵ (لَيْن)

(كَيَّنُونَة) ⟵ (كَيْنُونَة)

(شَيَّخُوخَة) ⟵ (شَيْخُوخَة)

(دَيَّمُومَة) ⟵ (دَيْمُومَةٌ)

وهو ما يعني أنَّهم قد حذفوا المقطع (**yi**) فرارًا من تكرار مَقْطَعَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ .

وَحِينَ يُصَادِفُ الْوَقْفُ كَلِمَةً مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي يَكُونُ فِي آخِرِهَا حَرْفٌ مُدْغَمٌ ، نَحْوَ اسْتَمَرَّ ، اسْتَحَقَّ ، اسْتَقَلَّ ، فَحِينَئِذٍ يَتَوَضَّعُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ مَقْطَعٌ زَائِدٌ فِي الطُّولِ مِنَ النَّوْعِ الْخَامِسِ (**صَامِتٌ C + حَرَكَةٌ V + صَامِتٌ C + صَامِتٌ C**) ؛ فَيُبَاشِرُ النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ عَمَلَهُ مِنْ أَجْلِ إِزَالَةِ هَذَا الثِّقَلِ مِنْ خِلَالِ تَغْيِيرِ الْبِنْيَةِ الْمَقْطَعِيَّةِ إِلَى مَقْطَعٍ مِنَ النَّوْعِ الثَّالِثِ (**صَامِتٌ C + حَرَكَةٌ V + صَامِتٌ C**) ؛ فَتَقُولُ : اسْتَمَرْ ، اسْتَحَقْ ، اسْتَقَلْ .

---

[1] الزمر : ٣٩/٢٤

[2] البيت من **الطويل لأوس بن حجر** في ديوانه : ٩٦ ، لسان العرب ١ / ٧١٩ (كعب) ، و ١١/ ٤٤٦ (عسل) ، و ١٥ / ٤٠٣ (وقى) ، و تهذيب اللغة ١ / ٣٢٥ ، ١٤ / ٤٠٩ ، و تاج العروس ١٥٠/٤ (عسل) ، وبلا نسبة في لسان العــرب ٣ / ٥٠٦ (لزز) ، وديوان الأدب ٤ / ٨٦ ، و الأشباه والنظائر : ١ / ١٤٢

وكَمَا اسْتُثْقِلَ الصَّامِتَانِ الْمُتَمَاثِلَانِ الْمُتَوَالِيَانِ فِي الْوَقْفِ اسْتَثْقَلُوا الْحَرَكَتَيْنِ الْمُتَمَاثِلَتَيْنِ الْمُتَوَالِيَتَيْنِ ، فَالضَّمَّتَانِ وَالْكَسْرَتَانِ الْمُتَجَاوِرَتَانِ فِي كَلِمَةٍ فِي أُذُنٍ وَإِبِلٍ وَخُطُوَاتٍ وفقِرَاتٍ يَكْثُرُ تَسْكِينُ أَوَاسِطِهَا بِحَذْفِ الضَّمَّةِ أَوِ الْكَسْرَةِ كَمَا جَاءَ عَنْ بَنِي تَمِيمٍ وَآخَرِينَ [1].

كَذَلِكَ اسْتَثْقَلُوا تَوَالِيَ الْمُتَحَرِّكَاتِ فَحِينَمَا يَتَّصِلُ الْفِعْلُ الْمَاضِي ذُو الْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ بِضَمِيرِ رَفْعٍ مُتَحَرِّكٍ وَيَنْصَهِرَا مَعًا كَالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ تُحْذَفُ الْحَرَكَةُ الثَّالِثَةُ تَخَلُّصًا مِنْ هَذَا التَّتَابُعِ بِتَغْيِيرِ الشَّكْلِ الْمَقْطَعِيِّ « **syncopation** » ، وَذَكَرَ « **ابْنُ سِيدَةَ** » أَنَّهُ " لَيْسَ مِنْ كَلَامِهِمْ الْتِقَاءُ أَرْبَعَ مُتَحَرِّكَاتٍ وَضْعًا إِلَّا بَعْدَ تَوَسُّطِ سَاكِنٍ."[2]

وَلَعَلَّ مَا ذَكَرَهُ النُّحَــاةُ الْعَرَبُ حَوْلَ ثِقَلِ اجْتِمَاعِ أَرْبَعَةِ مُتَحَرِّكَاتٍ فَأَكْثَرَ هُوَ عَيْنُ مَا قَصَدَهُ «**جان كانتينو**» بِقَوْلِهِ :"يَبْدُو أَنَّ أَهْلَ اللَّهَجَاتِ الشَّرْقِيَّةِ يَجْتَنِبُونَ أَنْوَاعًا مُعَيَّنَةً مِنْ تَتَابُعِ الْمَقَاطِعِ الْقَصِيرَةِ ."[3]

صَحِيحٌ أَنَّهُ يُمْكِنُ عَلَى الْمُسْتَوَى السِّيَاقِيِّ الِاسْتِعْمَالِيِّ تَوَالِي خَمْسَةِ أَحْرُفٍ مُتَحَرِّكَاتٍ فِي كَلِمَتَيْنِ؛ نَحْوُ : (حَضَرَ كَرِيمٌ) ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا الشَّكْلَ مِنَ التَّتَابُعِ تَرْفُضُهُ الْعَرَبِيَّةُ فِي لُغَةِ الشِّعْرِ ، إِذْ إِنَّ النِّظَامَ الْمَقْطَعِيَّ لِلُغَةِ الشِّعْرِ لَا يُبِيحُ مِثْلَ هَذَا التَّتَابُعِ ؛ فَيُخْضِعَ هَذَا التَّتَابُعَ الْمَرْفُوضَ لِلْإِسْكَانِ ، وَحَذْفِ الْحَرَكَةِ وَتَغْيِيرِ الْبِنْيَةِ الْمَقْطَعِيَّةِ .[4]

وَلَعَلَّ مِنْ أَبْرَزِ آلِيَّاتِ الْبَتْرِ مَا يُعْرَفُ نَحْوِيًّا بِمُصْطَلَحِ التَّرْخِيمِ « **apocope** » ، وَهُوَ لُغَةً التَّسْهِيلُ وَالتَّلْيِينُ ، ثُمَّ خُصِّصَ اصْطِلَاحِيًّا بِحَذْفِ بَعْضِ الأَحْرُفِ وَالْحَرَكَاتِ مِنَ نِهَايَاتِ بَعْضِ الأَسْمَاءِ فِي النِّدَاءِ بِصُوَرِهِ وَأَشْكَالِهِ كَافَّةً ، كَمَا فِي : يَا فَاطِمُ ، يَا مَالِ ، يَا حَارِ ؛ لِمَا تَقْتَضِيهِ هَذِهِ الصُّورَةُ مِنْ صُوَرِ الإِنْشَاءِ مِنْ سُرْعَةٍ وَإِيجَازٍ .

---

[1] انظر شرح الرضي على شافية ابن الحاجب : ٢/١٠٩-١١٣

[2] المحكم والمحيط في اللغة- ابن سيده الأندلسي : ١ / ١٠ [تحقيق مصطفى السقا وآخرين ــ القاهرة ــ ١٩٥٨ م]

[3] دروس في علم الأصوات العربية ــ جان كانتينو : ١٩٦ [منشورات مركز الدراسات والبحوث بالجامعة التونــسية ــ ١٩٦٦ م]

[4] انظر : الكتاب ــ سيبويه : ٤ / ٤٣٧

وَشَبِيهٌ بِالتَّرْخِيمِ مَا يَحْدُثُ مِنَ اخْتِزَالٍ وَتَقْصِيرٍ لِلصَّوَائِتِ الطَّوِيلَةِ الْمَمْدُودَةِ ، وَتَحْوِيلِهَا إِلَى صَوَائِتَ قَصِيرَةٍ أَقَلَّ مِنْهَا فِي الْكَمِّيَّةِ ؛ إِذْ يَلْجَأُ النَّاطِقُونَ إِلَى الاجْتِزَاءِ بِالضَّمَّةِ عَنْ الوَاوِ ، وَبِالْكَسْرَةِ عَنِ اليَاءِ ، وَبِالْفَتْحَةِ عَنْ الأَلِفِ ؛ لِضَرْبٍ مِنَ الاسْتِحْسَانِ ، أَوْ طَلَبًا لِلتَّخْفِيفِ ؛ وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا التَّقْصِيرَ يَكَادُ يَكُونُ سِمَةً عَامَّةً فِي اللُّغَةِ السَّامِيَّةِ الأُمِّ إِذْ يَذْكُرُ « **برجشتراسر** » " أَنَّ كُلَّ الْحَرَكَاتِ الْمَمْدُودَةِ الانْتِهَائِيَّةِ ، كَانَتْ تُقَصَّرُ فِي اللُّغَةِ السَّامِيَّةِ الأُمِّ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ ."[1]

وَمِنْ أَبْرَزِ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : لَمْ أُبَلْ ، ولا أَدْرِ ، إِذْ كَثُر اسْتِعْمَالُهُمْ لِهَذَيْنِ التَّرْكِيبَيْنِ بِهَذِهِ الصُّورَةِ شِعْرًا وَنَثْرًا . وَالأَصْلُ فِيهِمَا :لَمْ أُبَالِ ، ولا أَدْرِي ؛ يقول « **الفرزدق** » :

لَوْلاَ يَدَا بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ لَمْ أُبَلْ *** تَكَثُّرَ غَيْظٍ فِي فُؤَادِ الْمُهَلَّبِ [2]

وقال « **أبو خراش الهذليّ** » :

وَلاَ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ *** خَلاَ أَنَّه قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ [3]

وَلْنَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ « **ابن جني** » فِي الْخَصَائِصِ :"وَإِذَا كَانَ الْحَرْفُ لَا يَتَحَامَلُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يَدْعُو إِلَى اخْتِرَامِهِ ، وَحَذْفِهِ كَانَ بِأَنْ يَضْعُفَ عَنْ تَحَمُّلِ الْحَرَكَةِ الزَّائِدَةِ عَلَيْهِ فِيهِ أَحْرَى وَأَحْجَى . وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾[4]، و﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾[5]، و ﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾[6]."[7]

---

[1] التطور النحوي ــ برجشتراسر : ٦٦ ــ ٦٧

[2] البيت من **الطويل للفرزدق** في ديوانه : ص١٠ ، من مقطوعة هو مطلعها .

[3] البيت من **الطويل لأبي خراش الهذلي** في أمالي المرتضى : ١ / ١٩٨ ، و ١٩٩ ، و خزانة الأدب : ٥ / ٤٠٦ ، و سمط الآلي : ٦٠١ ، و شرح أشعار الهذليين : ١٢٣٠/٣ ، و شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٧٨٧ ، و بلا نسبة في الإنصاف : ١ / ٣٩٠ ، و الخصائص : ١ / ٧١ .

[4] الفجر : ٤/٨٩

[5] الكهف : ٦٤/١٨

[6] الرعد : ٩/١٣

[7] الخصائص ــ ابن جني : ٢٩٤ ــ ٢٩٥

وَعَلَيْهِ حذفَوا أَلِفَ (مَا الاسْتِفْهَامِيَّةَ) الْمَسْبُوقَةَ بِجَارٍّ حَرْفِيٍّ أَوْ اِسْمِيٍّ كما فِي لِـمَ ، و عَلَامَ ، وإِلَامَ ، وَحَتَّامَ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾[1] ، وَ بُغْيَةَ مَ ؟ وَلأَجْلِ مَ ؟

وَتَزْخَرُ كُتُبُ الْقِرَاءَاتِ بِالْحَدِيثِ عنِ اخْتِزَالِ هَذِهِ الصَّوَائِتِ الطَّوِيلَةِ [2]، وَالاجْتِزَاءِ عَنْهَا بِالْكَسْرَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَفْعَالِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :﴿ وَلا تَكْفُرُونِ ﴾[3]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَارْهَبُونِ ﴾[4] ، وَقَوْلِهِ تعَالَى:﴿ فَاتَّقُونِ ﴾[5]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَنْ يُؤْتِيَنِ ﴾[6]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَشْفِينِ ﴾[7] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَكْرَمَنِ ﴾[8] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ ﴾[9] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ ﴾[10] ، وَمِنَ الْمَنْقُوصِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ غَوَاشٍ ﴾[11]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ هَارٍ ﴾[12]، وَمِنَ الْمُنَادَى الْمُضَافِ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَا قَوْمِ ﴾[13] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَا رَبِّ ﴾[14].

---

[1] النبأ : ٧٨ / ١

[2] انظر : الإتحاف : ١/ ٨٩ ، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري : ٢ / ١٨٣ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيس : ١ / ٣٣١

[3] البقرة : ٢ / ١٥٢

[4] البقرة : ٢ / ٤٠

[5] البقرة : ٢ / ٤١ ، و النحل : ١٦ / ٢

[6] الكهف : ١٨ / ٤٠

[7] الشعراء : ٢٦ / ٨٠

[8] الفجر : ٨٩ / ١٥

[9] النساء :٤ / ١٤٦

[10] المائدة ٣/٥

[11] الأعراف : ٧ / ٤١

[12] التوبة : ٩ / ١٠٩

[13] البقرة : ٢ / ٥٤

[14] الفرقان : ٢٥ / ٣٠ ،

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ

آلِيَّةُ الْمُخَالَفَةِ بَيْنَ الأَصْوَاتِ

« Dissimilation »[1]

لِلنِظَامِ اللُّغَوِيِّ فِي الْعَرَبِيَّةِ آلِيَّةٌ جَدِيدَةٌ يَصْطَنِعُهَا مِنْ أَجْلِ إِزَالَةِ الْعَثَرَاتِ وَتَيْسِيرِ النُّطْقِ فِي التَتَابُعَاتِ الَّتِي تَتَوَضَّعُ فِي إِطَارِهَا عَقَبَاتٌ أَوْ اسْتِعْصَاءٌ ؛ فَيَتَصَرَّفُ فِيهَا بِعَمَلِيَّاتٍ مِنَ التَّنَقُّلِ وَالتَّحَوُّلِ تَوْطِئَةً لأَدَاءٍ مُمَهَّدٍ يَسِيرٍ ، فَيُحْدِثُ نَوْعًا مِنَ الْمُخَالَفَةِ « **Dissimilation** » بَيْنَ الأَصْوَاتِ ، وَلَا تَقْتَصِرُ هَذِهِ الْمُخَالَفَةُ عَلَى الأَصْوَاتِ الْمُتَمَاثِلَةِ ، أَوِ الْمُتَّحِدَةِ فِي الْمَخْرَجِ وَالصِّفَاتِ فَقَطْ ، لَكِنَّهَا قَدْ تَمْتَدُّ لِتَشْمَلَ الْمُتَقَارِبَاتِ أَوِ الْمُتَجَانِسَاتِ ، أَوْ مَا نَعْنِي بِهِ الأَصْوَاتَ الْمُتَقَارِبَةَ فِي الْمَخَارِجِ ، وَالْمُشْتَرِكَةَ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ ، فَتَوَالِي الْمُتَمَاثِلاتِ أَوْ شِبْهِ الْمُتَمَاثِلَاتِ يُحْدِثُ ثِقَلًا وَاضِحًا تَنْشَأُ عَنْهُ ظَوَاهِرُ تَخْفِيفِيَّةٌ عَدِيدَةٌ كَالْقَلْبِ ، أَوِ الإِدْغَامِ ، أَوِ الْحَذْفِ [2]، أَوِ النَّقْلِ ، مِنْ أَجْلِ التَّصَرُّفِ فِي هَذَا الثِّقَلِ وَإِحْدَاثِ الْمُخَالَفَةِ بَيْنَ الْمُتَمَاثِلاتِ أَوِ الْمُتَقَارِبَاتِ.

وَقَدْ أَشَارَ « **فندريس** » إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْمُخَالَفَةَ هِيَ إِحْدَى الوَسَائِلِ الَّتِي يَنْتَهِجُهَا النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ " لِإِزَالَةِ الْمَجَامِيعِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي يَصْعُبُ نُطْقُهَا."[3]

وَهَذِهِ الْمُخَالَفَةُ هِيَ إِحْدَى صُوَرِ التَّغْيِيرَاتِ الصَّوْتِيَّةِ التَّرْكِيبِيَّةِ الْعَارِضَةِ ، الَّتِي يُعَلِّلُهَا اللُّغَوِيُّونَ الْمُعَاصِرُونَ ، بِالْحَاجَةِ إِلَى تَيْسِيرِ الْجُهْدِ الْعَضَلِيِّ الْمَبْذُولِ أَثْنَاءَ عَمَلِيَّةِ النُّطْقِ ، عَنْ طَرِيقِ تَغْيِيرِ أَحَدِ الصَّوْتَيْنِ الْمُتَمَاثِلَيْنِ لِمَخْرَجِهِ ، لِلتَّخَلُّصِ مِنَ الْجُهْدِ الْمُكَرَّرِ أَوْ الثَّقِيلِ .[4]

---

[1] يقول « فندريس » : " ينحصر التخالف ، وهو المسلك المضاد للتشابه في أن يعمل المتكلم حركة نطقية واحدة ، وكان من حقها أن تعمل مرتين " ، انظر اللغة فندريس : ٩٤

[2] يُعدُّ حذف أحد المقطعين المتماثلين المتجاورين كراهية توالي المتماثلين ، أو مايسمى بالإفراد الصوتي« **Haplology** » نوعًا من أنواع المخالفة « **Dissimilation** » ، وأن العلاقة بينه وبين المخالفة الصوتية هي علاقة عضوية ، ولذا نجد بعض الدارسين يستخدمون مصطلح الحذف « **Haplology** » مرادفًا لمصطلح المخالفة « **Dissimilation** » [انظر : فقه العربية المقارن – رمزي منير البعلبكي : ١١٦ – دار العلم للملايين]

[3] اللغة ــ فندريس : ٨٣

[4] انظر : التطور النحوي لبرجشتراسر : ٣٤ ، والتطور اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب ، ٤١ ، و ٤٧

وَحِينَ يَحْرِصُ النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ عَلَى إِحْدَاثِ الْمُخَالَفَةِ ، فَهُوَ بِذَلِكَ يَسْعَى إِلَى تَحْقِيقِ أَكْبَرِ قَدْرٍ مِنَ التَّنَوُّعِ الْمُوسِيقِيِّ ، الَّذِي يُظْهِرُ الأَصْوَاتَ اللُّغَوِيَّةَ عَلَى حَقِيقَتِهَا ، نُطْقًا وَسماعًا فِي السِّيَاقَاتِ الاسْتِعمَالِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَمِنْ هُنَا يَقُولُ « **تمَّام حسَّان** » :" مِنَ الوَاضِحِ أَنَّ النِّظَامَ اللُّغَوِيَّ ، وَالاسْتِعْمَالَ السِّيَاقِيَّ ، يَحْرِصَانِ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى عَلَى الْتِقَاءِ الْمُتَخَالِفِينَ ، أَوْ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى يَحْرِصَانِ عَلَى التَّخَالُفِ ، وَيَكْرَهَانِ التَّنَافُرَ وَالتَّمَاثُلَ"[1] ، وَيَقُولُ « **Brockelmann** »:"إِذَا تَوَالَى مَقْطَعَانِ ، أَصْوَاتُهُمَا الصَّامِتَةُ مُتَمَاثِلَةٌ ، أَوْ مُتَشَابِهَةٌ جِدًّا ، الْوَاحِدَ بَعْدَ الآخَرِ ... ؛ فَإِنَّهُ يُكْتَفَى بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا ، بِسَبَبِ الارْتِبَاطِ الذِّهْنِيِّ بَيْنَهُمَا ."[2]

وَقَدْ فَطِنَ النُّحَاةُ القُدَمَاءُ إِلَى أَنَّ العَرَبَ يَسْتَثْقِلُونَ تَتَابُعَاتٍ صَوْتِيَّةً مُعَيَّنَةً ، فَيُحْدِثُونَ مَا يُسَمِّيهِ الْمُحْدَثُونَ بِالْمُخَالَفَةِ ، فَقَدْ أَدْرَكُوا جَوْهَرَ هَذِهِ الْمُخَالَفَةِ وَحَقِيقَتَهَا وَإِنْ لَمْ يُسَمُّوهَا بِذَلِكَ الاسْمِ ، وَكَانُوا يُعَبِّرُونَ عَنْهَا أَحْيَانًا بِكَرَاهِيَةِ التَّضْعِيفِ ، أَوْ كَرَاهِيَةِ اجْتِمَاعِ حَرْفَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ ، أَوْ اجْتِمَاعِ الأَمْثَالِ مَكْرُوهٌ [3]، وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا « **سيبويه** » فِي كِتَابِهِ ، تَحْتَ عُنْوَانِ : « هَذَا بَابُ مَا شَذَّ فَأُبْدِلَ مَكَانَ اللَّامِ اليَاءَ لِكَرَاهِيَةِ التَّضْعِيفِ ، وَلَيْسَ بِمُطَّرِدٍ » ؛ يَقُولُ : "وَذَلِكَ قَوْلُكَ : تَسَرَّيْتُ ، و تَظَنَّيْتُ ، وتَقَصَّيْتُ مِنَ القِصَّةِ ، وأَمْلَيْتُ ، كَمَا أَنَّ التَّاءَ فِي أَسْنَتُوا مُبْدَلَةٌ مِنَ اليَاءِ ، أَرَادُوا حَرْفًا أَخَفَّ عَلَيْهِمْ مِنْهَا ، وَأَجْلَدَ كَمَا فَعَلُوا ذَلِكَ فِي أَتْلَجَ . وَبَدَلُهَا شَاذٌّ هُنا بِمَنْزِلَتِهَا فِي سِتٍّ . وَكُلُّ هَذَا التَّضْعِيفِ فِيهِ عَرَبِيٌّ كَثِيرٌ جَيِّدٌ ." [4]

فَحِينَ اسْتَثْقَلُوا الضَّمَّةَ اللَّازِمَةَ [5] عَلَى الْوَاوِ سَوَاءٌ أَكَانَتْ فَاءً كَمَا فِي نَحْوِ : وُجُوهٍ ، وَوُعِدَ ، وَوُقِّتَتْ ، أَمْ عَيْنًا كَمَا فِي أَدْوُرٍ ، وَأَثْوُبٍ ، وَالْوَاوُ فِي هَذِهِ الأَمْثِلَةِ لَا

---

[1] اللغة العربية معناها ومبناها ــ د / تمام حسان : ٢٦٣

[2] فقه اللغات الساميَّة ــ كارل بروكلمان : ٧٩

[3] انظر : شرح التصريف الملوكي ــ لموفق الدين بن يعيش : ٤٥١ ، و الأشباه والنظائر للسيوطي : ١ / ٤٠

[4] الكتاب – سيبويه : ٤ / ٤٢٤

[5] أمَّا ما كان الضمُّ فيه عارضًا ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ ﴾ ، وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ ﴾ "فإنَّ همز هذه الواو لا يجوز ؛ لأنَّ الضمة لعلَّة ، ولَيست الضمة أصلاً " ، وكذلك لا تبدل هذه الواو المضمومة همزة إذا كانت مشددة ، نحو : ((التقوُّل)) ، و ((التَّعوُّذ)) " لقوتها بالتشديد وصيرورتها كالحرف الصحيح . (انظر : شرح الرضي على الشافية : ٣/٧٨)

يُمْكِنُ تَسْكِينُهَا لِوُقُوعِهَا أَوَّلَ الْكَلِمَةِ ، أَوْ مَجِيئِهَا بَعْدَ سَاكِنٍ ، وَالنِّظَامُ اللُّغَوِيُّ لِلْعَرَبِيَّةِ يَسْتَثْقِلُ الحَرَكَاتِ عَلَى الوَاوِ وَاليَاءِ ؛ وَمِنْ ثَمَّ لَا بُدَّ مِنْ إِعْلَالِهَا ، وَقَلْبِهَا إِلَى حَرْفٍ آخَرَ يَتَحَمَّلُ الْحَرَكَةَ ، وَتَحْوِيلُ الوَاوِ الْمَضْمُومَةِ إِلَى هَمْزَةٍ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ يُزِيلُ بَعْضَ الثِّقَلِ وَيُخَفِّفُ الْجُهْدَ الْعِلَاجِيَّ ؛ فَقَالُوا : أُجُوهٌ ، وَأُعِدَ ، وَأُقِّتَتْ ، وَأَدْؤُرٌ ، وَأَثْؤُبٌ ، وَاحْتَمَلُوا الْهَمْزَةَ مَعَ ثِقَلِهَا ؛ لِقُوَّتِهَا وَقُدْرَتِهَا عَلَى تَحَمُّلِ الْحَرَكَةِ ، وَكَمَا يَقُول « **ابن جني** » :" وَقَدْ يُحْتَمَلُ لِلْقُوَّةِ مَا لَايُحْتَمَلُ لِلضَّعْفِ "[1] ، وَعَلَيْهِ جَاءَ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُم وَأَطفئتْ مَصَابِيحُ شَبَّتْ بِالعِشَاءِ وَأَنْؤُرُ

فَالوَاوُ هُنَا عَلَى الْمُسْتَوَى الوَظِيفِيِّ قَدْ تَحَوَّلَتْ إِلَى صَوْتٍ صَامِتٍ « **Consonant**» يَمْتَلِكُ إِحْدَى الْحَرَكَاتِ ، وَهِيَ الضَّمَّةُ ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ النِّظَامَ اللُّغَوِيَّ لِلْعَرَبِيَّةِ فِي مُسْتَوَاهُ الصَّوْتِيِّ يَسْتَثْقِلُ الْحَرَكَاتِ عَلَى حَرْفَيِ الْعِلَّةِ الوَاوِ وَاليَاءِ ، وَوُقُوعُ الوَاوِ هُنَا مَضْمُومَةً فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ ، أَوْ بَعْدَ سَاكِنٍ فِي وَسَطِ الْكَلِمَةِ ، أَحْدَثَ ثِقَلًا لَا مَهْرَبَ مِنْهُ إِلَّا بِالإِبْدَالِ وَالْقَلْبِ ؛"وَذَلِكَ لِأَنَّ ضَمَّةَ الوَاوِ ثَقِيلَةٌ ، كَمَا كَانَ كَسْرُ اليَاءِ ثَقِيلًا "[2]، فَالْقَلْبُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَاتِ هُوَ الْحَلُّ الَّذِي انْتَهَجَهُ النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ حِينَ تَعَذَّرَ الْحَذْفُ أَوِ الإِدْغَامُ اللَّذَانِ يَتَقَيَّدَانِ بِصِيغَةِ الْكَلِمَةِ ، أَمَّا الْقَلْبُ فَهُوَ يُحَافِظُ عَلَى الصِّيغَةِ وَيُحْدِثُ فِيهَا تَجَانُسًا يُخَفِّفُ مِنَ الْعِلَاجِ الصَّوْتِيِّ ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ احْتَمَلُوا مَا فِي الْهَمْزَةِ مِنْ ثِقَلٍ لِقُوَّتِهَا وَقُدْرَتِهَا عَلَى تَحَمُّلِ الْحَرَكَةِ ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ السِّرُّ فِي عَدَمِ قَلْبِ الوَاوِ الْمَضْمُومَةِ هُنَا يَاءً "لِفَرْطِ التَّقَارُبِ بَيْنَ الوَاوِ وَاليَاءِ ، وَالْهَمْزَةُ أَبْعَدُ شَيْئًا ؛ فَلَوْ قُلِبَتْ يَاءً لَكَانَ كَأَنَّ اجْتِمَاعَ الوَاوَيْنِ الْمُسْتَثْقَلَ بَاقٍ."[3]

وَلَيْسَ بِخَافٍ أَنَّ الْتِزَامَ حَذْفِ إِحْدَى الْهَمْزَتَيْنِ نَابِعٌ مِنْ ثِقَلِ تَتَابُعِهِمَا ؛"لِأَنَّ الطَّبْعَ لَا يَنْفِرُ مِنْ تَوَالِي الْمُخْتَلِفَاتِ ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا مَكْرُوهَةً ، كَمَا يَنْفِرُ مِنْ تَوَالِي الْمُتَمَاثِلَاتِ الْمَكْرُوهَةِ ، إِذْ مُجَرَّدُ التَّوَالِي مَكْرُوهٌ ، حَتَّى فِي غَيْرِ الْمَكْرُوهَاتِ أَيْضًا ، وَكُلُّ كَثِيرٍ عَدُوٌّ لِلطَّبِيعَةِ "[4]، وَيَزْدَادُ هَذَا النُّفُورُ ، وَتِلْكَ الْكَرَاهَةُ إِذَا كَانَ هَذَا التَّوَالِي لِهَمْزَتَيْنِ ،"وَعِلَّةُ

---

[1] الخصائص ــ أبو الفتح عثمان بن جني : ٧٠/١

[2] مشكلة الهمزة العربية ــ د/ رمضان عبد التواب : ١٥٤ ، وانظر نص الفرّاء في معاني القرآن : ٢٢٢/٣

[3] شرح الرضي على الشافية : ٧٨/٣

[4] شرح الشافية ــ الرضي الأستراباذي : ٢ / ١٨

ذَلِكَ أَنَّ الْهَمْزَةَ الثَّانِيَةَ لَمَّا كَانَتْ لَا تَنْفَصِلُ مِنْهَا الأُولَى ، وَلَا تُفَارِقُهَا فِي جَمِيعِ تَصَارِيفِ الْكَلِمَةِ ، اسْتَثْقَلُوا ذَلِكَ فِيهَا ، مَعَ كَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمْ لِذَلِكَ ، وَكَثْرَةِ تَصَرُّفِهِ فِي الْكَلَامِ ؛ فَتَرَكُوا تَحْقِيقَهَا اسْتِخْفَافًا ، إِذْ كَانُوا يُخَفِّفُونَ الْمُفْرَدَةَ اسْتِخْفَافًا ؛ لِثِقَلِ الْهَمْزَةِ الْمُفْرَدَةِ ؛ فَإِذَا تَكَرَّرَتْ كَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ ثِقَلًا "[1]، وَمِنْ هُنَا فَقَدْ حَكَمَ « **ابنُ جِنِّي** » عَلَى قِرَاءَةِ « **الكِسَائِيِّ** » : ﴿ **أَئِمَّةً** ﴾[2] بِالشُّذُوذِ ؛ حَيْثُ جَمَعَ بَيْنَ هَمْزَتَيْنِ ؛ يَقُولُ :" وَمِنْ شَاذِّ الْهَمْزِ عِنْدَنَا قِرَاءَةُ « **الكِسَائِيِّ** » ﴿ **أَئِمَّةً** ﴾ بِالتَّحْقِيقِ فِيهِمَا ، فَالْهَمْزَتَانِ لَا تَلْتَقِيَانِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَا عَيْنَيْنِ ؛ نَحْوُ : سَئَّالٍ ، وَ سَئَّارٍ ، وَجَئَّارٍ."[3]

فَنِظَامُ العَرَبِيَّةِ يَنْزِعُ إِلَى التَّبَايُنِ وَالْمُخَالَفَةِ بَيْنَ الْمُتَمَاثِلَاتِ الْمُتَتَابِعَةِ لِتَخْفِيفِ العِلَاجِ الصَّوْتِيِّ ؛ كَمَا رَأَيْنَا فِي حَذْفِ الهَمْزَةِ مِنَ الفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمُسْنَدِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ ، حِينَ عَمَدَ النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ إِلَى الْمُخَالَفَةِ بَيْنَهُمَا اقْتِصَادًا لِلْجُهْدِ ، عَنْ طَرِيقِ حَذْفِ الْهَمْزَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ أُكْرِمُ .

وَقَدْ يَعْمَدُ النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ إِلَى الْمُخَالَفَةِ بَيْنَ الْمُتَقَارِبَاتِ بِالْحَذْفِ ، وَمِنْ ذَلِكَ مُخَالَفَتُهُمْ بِحَذْفِ التَّاءِ مِنْ **اسْتَطَاعَ** ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوه وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾[4]، وَقَدْ وَرَدَ الْحَذْفُ فِي الشِّعْرِ كَثِيرًا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

فَإِنْ كُنْتَ لاَ تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي *** فَدَعْنِي أُبَادِرُهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي [5]

وَ قَوْلُهُ :

ولا تُقْصِرَنْ عَنْ سَعْيِ مَنْ قَدْ وَرِثْتَهُ *** فَمَا اسْطَعْتَ مِنْ خَيْرٍ لِنَفْسِكَ فازْدَدِ [6]

وَقَوْلُهُ :

دَفَعْنَا بِكَ الأَيَامَ حتَّى إِذَا أَتَتْ *** تُرِيدُكَ لَمْ نَسْطِعْ عَنْكَ مَدْفَعَا [7]

---

[1] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ــ لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي : ١ / ٧٠

[2] السجدة : ٢٤

[3] الخصائص ــ أبو الفتح عثمان بن جني : ٣ / ١٤٥

[4] الكهف : ١٨ / ٩٧

[5] البيت من **الطويل لطرفة** في ديوانه : ٣٢

[6] البيت من **الطويل لعدي بن زيد العبادي** في ديوانه : ١٠٦ ، والحماسة البصرية : ٢ / ٤٩

[7] البيت من **الطويل ليحيى بن زياد الحارثي** في الحماسة بشرح المرزوقي : ٨٦١ ، والحماسة البصرية : ٢ / ٨٩

يَقُولُ « **سيبويه** » :"حَذَفُوا التَّاءَ مِنْ قَوْلِهِمْ : يَسْتَطِيعُ ؛ حَيْثُ كَثُرَتْ ، كَرَاهِيَةَ تَحْرِيكِ السِّينِ ، وَكَانَ هَذَا أَحْرَى إِذْ كَانَ زَائِدًا ، اسْتَثْقَلُوا فِي يَسْطِيعُ التَّاءَ مَعَ الطَّاءِ ، وَكَرِهُوا أَنْ يُدْغِمُوا التَّاءَ فِي الطَّاءِ فَتُحَرَّكَ السِّينُ ، وَهْيَ لَا تُحرَّك أَبَدًا ، فَحَذَفُوا التَّاءَ ، وَمَنْ قَالَ يُسْطِيعُ فَإِنَّمَا زَادَ السِّينَ عَلَى أَطَاعَ يُطِيعُ ، وَجَعَلَهَا عِوَضًا مِنْ سُكُونِ مَوْضِعِ الْعَيْنِ."[1]

وَقَدْ خَالَفَ بَعْضُهُمْ بَيْنَ التَّاءِ ، وَ الطَّاءِ ؛ فَقَالَ : اسْتَاعَ يَسْتَيِعُ ؛"حَذَفَ الطَّاءَ كَمَا حَذَفَ لاَمَ ظَلْتُ ، وَتَرَكُوا الزِّيَادَةَ كَمَا تَرَكُوهَا فِي تَقَيْتُ ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : أَبْدَلُوا التَّاءَ مَكَانَ الطَّاءَ ؛ لِيَكُونَ مَا بَعْدَ السِّينِ مَهْمُوسًا مِثْلَهَا"[2]، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَفِيكَ إِذَا لاَقَيْتَنَا عَجْرَفِيَّةٌ *** مِرَارًا فَمَا نُسْتَيِعُ مَنْ يَتَعَجْرَفُ [3]

وَ مِمَّا سَبَقَ نَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ إِنَّه إِذَا تَوَالَي الْمُتَمَاثِلاَنِ أَوْ شِبْهُ الْمُتَمَاثِلَيْنِ فَإِنَّ تَوَالِيهُمَا يُحْدِثُ ثِقَلًا وَاضِحًا تَنْشَأُ عَنْهُ ظَوَاهِرُ تَخْفِيفِيَّةٌ عَدِيدَةٌ كَالْقَلْبِ ، أو الإِدْغَامِ ، أَوِ الْحَذْفِ ، أَوِ النَّقْلِ ، مِنْ أَجْلِ التَّصَرُّفِ فِي هَذَا الثِّقَلِ ، فَلَيْسَ بَيْنَ التَّاءِ وَ الطَّاءِ هُنَا إِلَّا التَّفْخِيمُ وَ التَّرْقِيقُ ؛ فَحِينَ تَعَذَّرَ الإِدْغَامُ مَعَ تَوَالِي الْمُتَمَاثِلَيْنِ هُنَا ، حَذَفُوا التَّاءَ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ هَذَا الثِّقَلِ[4]، وَإِنَّمَا تَعَذَّرَ الإِدْغَامُ ؛ لِأَنَّكَ لَوْ نَقَلْتَ حَرَكَةَ التَّاءِ إِلَى السِّينِ السَّاكِنَةِ قَبْلَهَا ؛ لَتَحَرَّكَتِ السِّينُ فِي مَوْضِعٍ لَا تَجُوزُ فِيهِ الْحَرَكَةُ ، وَلَوْ لَمْ تُنْقَلْ حَرَكَةُ التَّاءِ لَمَا قَبْلَهَا لَالْتَقَى سَاكِنَانِ عِنْدَ الإِدْغَامِ ؛ فَتَخَلَّصَ النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ مِنْ ثِقَلِ الْكَلِمَةِ بِحَذْفِ التَّاءِ تَخَلُّصًا شَاذًّا ؛ فَصَارَتِ الْكَلِمَةُ إِلَى هَذَا التَّصَرُّفِ غَيْرِ الْمُطَّرِدِ .

وَمِنَ الْغَرِيبِ حَقًّا أَنَّهُمْ قَدْ يُخَالِفُونَ هُنَا بَيْنَ الْمُتَقَارِبَيْنِ بِالإِدْغَامِ ؛ فَقَرَأَ « **حَمْزَةُ** » بِتَشْدِيدِ الطَّاءِ مِنْ اسْطَّاعُوا بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِيهَا ، وَ هُوَ مَا عَدَّهُ « **سيبويه** » مُحَالًا وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَنْطِقَ بِهِ ؛ لِأَنَّ السِّينَ سَاكِنَةٌ ، وَلَا يَجُوزُ تَحْرِيكُهَا ، وَالطَّاءُ بَعْدَهَا

---

[1] الكتاب ــ سيبويه : ٤ / ٤٨٣

[2] الكتاب ــ سيبويه : ٤ / ٤٨٤

[3] البيت من **الطويل لجران العود** في ديوانه : ٥٧ ، والخصائص : ١ / ٢٦١ ، وسر صناعة الإعراب : ٢٠٢/١ ، وبلا نسبة في رصف المباني ٣٩٤

[4] لعلنا نلحظ أنَّ حذف الأول ــ وهو التاء ــ أولى ؛ لأنَّ الأول هو الزائد .

مُضعَّفَةٌ أَوَّلُهَا سَاكِنٌ[1]، وَإِنْ كَانَ مَا نَقَلَهُ الْقُرَّاءُ حُجَّةً ، إِذْ لَا اجْتِهَادَ فِيمَا نَقَلُوهُ عَنْ شُيُوخِهِمْ .

وَقَدْ خَالَفَ النِّظَامُ بَيْنَ الْمُتَقَارِبَاتِ بِالْحَذْفِ ، حَذْفُهُمْ النُّونَ مِنْ كَلِمَةِ بَنِي الدَّاخِلَةِ عَلَى الْمُعَرَّفِ بِاللَّامِ الْقَمَرِيَّةِ ؛ نَحْوُ قَوْلُهُمْ : بَلْعَنْبَرِ ، وَ بَلْعَجْلَانِ ، وَ بَلْحَارِثِ ، وَ بَلْهَجِيمِ ، يريدون : بَنِي الْعَنْبَرِ ، و بَنِي الْعَجْلَانِ ، وَ بَنِي الْحَارِثِ ، وَ بَنِي الْهَجِيمِ ؛ حَذَفُوا الياءَ مِنْ بَنِي لِسُكُونِهَا ، وَسُكُونِ لامِ التَّعْرِيفِ ثُمَّ حَذَفُوا النُّونَ لِقُرْبِهَا مِنَ اللَّامِ فِي الْمَخْرَجِ[2]، لأَنَّهُمْ إِنْ كَانُوا يَكْرَهُونَ اجْتِمَاعَ الْمُتَمَاثِلَيْنِ فَقَدْ كَرِهُوُا أَيْضًا اجْتِمَاعَ الْمُتَقَارِبَيْنِ .

وَ مَا حَدَثَ فِي بَلْعَنْبَرِ وَأَشْبَاهِهَا هُنَا ، هُوَ أَنَّهُ فِي حَالِ الْوَصْلِ يَنْشَأُ مَقْطَعٌ طَوِيلٌ مِنَ النَّوْعِ الرَّابِعِ يَتَكَوَّنُ مِنْ [**صامت C + حركة طويلة VV + صامت C**] ، يَتَشَكَّلُ مِنْ آخِرِ كَلِمَةِ بَنِي ، وَأَوَّلِ كَلِمَةِ الْعَنْبَرِ [**نيلْ**] [**nīl**] ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْمَقَاطِعِ قَلِيلُ الاسْتِعْمَالِ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، بَلْ إِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَصْلًا إِلاَّ فِي أَوَاخِرِ الْكَلِمَاتِ حَالَ الْوَقْفِ عَلَيْهَا ، أَوْ وَسْطَ الْكَلِمَةِ بِشَرْطِ كَوْنِ الْمَقْطَعِ التَّالِي لَهُ مَبْدُوءًا بِصَامِتٍ يُمَاثِلُ الصَّامِتَ الَّذِي اخْتُتِمَ بِهِ هَذَا الْمَقْطَعُ ، وَهُوَ مَا اصْطُلِحَ عَلَى تَسْمِيَتِهِ بِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ عَلَى حَدِّهِمَا ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الأَوَّلُ حَرْفَ مَدٍّ ، وَالثَّانِي مُدْغَمًا فِي مِثْلِهِ نَحْوَ : دَابَّةٍ ، وَشَابَّةٍ ، وَالضَّالِّينَ ، وَمُدْهَامَّتَانِ ... إلى غير ذلك .[3]

فَفِي الْوَصْلِ هُنا يَتَشَكَّلُ هَذَا الْمَقْطَعُ ؛ فَاخْتَزَلُوا الْحَرَكَةَ الطَّوِيلَةَ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ ، وَاكْتَفُوا بِالْحَرَكَةِ الْقَصِيرَةِ ؛ لِيَتَشَكَّلَ مَقْطَعٌ جَدِيدٌ مِنَ النَّوْعِ الثَّالِث يَتَكَوَّنُ مِنْ **[صامت C + حركة قصيرةV + صامت C]** [**نِلْ**] [**nil**] ، ثُمَّ خَالَفُوا بَيْنَ الْمُتَقَارِبَيْنِ ؛ فَحَذَفُوا النُّونَ ؛ لِيَنْتَهِيَ الأَمْرُ إِلَى هَذِهِ الصُّورَةِ بَلْعَنْبَرِ .

عَلَى أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونُوا قَدْ حَذَفُوا الْحَرَكَةَ الطَّوِيلَةَ كُلِّيَّةً بَعْدَ النُّونِ ، وَهُوَ مَا نَشَأَ عَنْهُ وُقُوعُ النُّونِ سَاكِنَةً قَبْلَ اللَّامِ ، وَكَمَا يَقُولُ « **سيبويه** » : " لاَ نَعْلَمُ النُّونَ وَقَعَتْ

---

[1] انظر إعراب القرآن ــ أبو جعفر النحاس : ٢ / ٢٩٥ [تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد ــ من منشورات وزارة الأوقاف بالعراق ــ إحياء التراث الإسلامي (٢٦) ــ مطبعة العاني ــ بغداد ١٩٧٩ م .]

[2] انظر : الكتاب ــ سيبويه : ٤ / ٤٨٤ ، و المقتضب ــ أبو العباس المبرد : ١ / ٢٥١ ، و أمالي ابن الشجري : ١ / ٩٧

[3] انظر : فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب : ١٩٥

سَاكِنَةً فِي الكَلاَمِ قَبْلَ رَاءٍ ، وَلاَ لاَمٍ ."[1] ، وَعَلَيْهِ " لَيْسَ فِي الْكَلاَمِ مِثْلُ قِنْرٍ ، وَعِنْلٍ."[2] ؛ فَلَمَّا كَانَ وُقُوعُ النُّونِ سَاكِنَةً قَبْلَ اللاَّمِ غَيْرَ جَائِزٍ ، حَذَفُوا النُّونَ تَخَلُّصًا مِنْ هَذَا التَّتَابُعِ الْمَكْرُوهِ .

الْمَبْحَثُ الْخَامِسُ

آلِيَّةُ الانْزِياحِ

انْزِياحُ الصَّوَائِتِ

مِنَ الآلِيَّاتِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْبِنْيَةِ تَهْذِيبًا وَتَشْذِيبًا آلِيَّةُ الانْزِيَاحِ وَنَعْنِي بِهَا انْزِيَاحَ الصَّوَائِتِ فِي اتِّجَاهٍ أَمَامِيٍّ أَوْ عَكْسِيٍّ ، وَانْتِقَالِهَا إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ أَجْلِ تَخْفِيفِ الْجُهْدِ الْعِلاَجِيِّ ، وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ الانْزِيَاحُ فِي الصَّوَائِتِ تَهْيِئَةً لِتَخْفِيفِ هَذَا الْجُهْدِ الْعِلاَجِيِّ ، وَهُوَ مَا يَبْدُو جَلِيًّا فِي كَثِيرٍ مِنْ عَمَلِيَّاتِ النَّقْلِ وَإِعَادَةِ التَّرْتِيبِ تَوْطِئَةً لِلإِدْغَامِ ، فَفِي الأَسْمَاءِ نَحْوِ : (مُقِلٍّ ، ومُسْتَعِدٍّ ، وَمُطْمَئِنٍّ) وَغَيْرِهَا لَمْ يَتَسَنَّ الإِدْغَامُ إِلَّا بَعْدَ انْزِيَاحِ الْحَرَكَاتِ مِنْ أَوَّلِ الْمُدْغَمَيْنِ إِلَى السَّوَاكِنِ قَبْلَهَا ؛ لِيَتَهَيَّأَ التَّبَادُلُ بَيْنَ مَوْقِعَيِ الْمَقْطَعَيْنِ الْمُتَوَسِّطِ وَالْقَصِيرِ ، والشَّأْنُ نَفْسُهُ أَيْضًا مَعَ الأَفْعَالِ نَحْوِ : (أَقَلَّ ، وَاسْتَعَدَّ ، وَاطْمَأَنَّ) إِذْ تَخَلَّى أَوَّلُ الْمُدْغَمَيْنِ عَنْ حَرَكَتِهِ ؛ فَتَيَسَّرَ إِدْغَامُهُ فِي مَثِيلِهِ تَحْقِيقًا لِلتَّخْفِيفِ الْمَنْشُودِ .

وَكَذَلِكَ فَإِنَّهُ حِينَ يُسْتَبْعَدُ الإِدْغَامُ فِي بَعْضِ التَّوَضُّعَاتِ لِأَسْبَابٍ تَرْتَبِطُ بِالصِّيغَةِ ، يَنْجُمُ عَنْهَا حَذْفُ أَوَّلِ الْمُتَمَاثِلَيْنِ ، فَإِنَّنَا نَرْصُدُ انْزِيَاحَ حَرَكَتِهِ لِتَتَوَضَّعَ فِيمَا قَبْلَهُ ، وَهُوَ مَا رَأَيْنَاهُ مِنْ قَبْلُ فِي ظَلْتُ ، ومَسْتُ ، وَأَحَسْتُ ، بِحَذْفِ أَحَدِ الصَّامِتَيْنِ الْمُتَمَاثِلَيْنِ فِي حَشْوِ الْكَلِمَةِ تَخْفِيفًا ، وَانْزِيَاحِ حَرَكَتِهِ إِلَى مَا قَبْلَهُ ؛ لِتُكَوِّنَ مَقْطَعًا أَكْثَرَ يُسْرًا ، إِذِ الأَصْلُ فِيهَا جَمِيعًا : ظَلِلْتُ ، ومَسِسْتُ ، وأَحْسَسْتُ .

وَفِي نَحْوِ أَقَامَ ، وَأَبَانَ ، وَاسْتَعَاذَ ، وَاسْتَعَانَ ، وَيَقُولُ ، وَيَبِيعُ ، والأَصْلُ فِيهَا أَقْوَمَ ، وَأَبْيَنَ ، وَاسْتَعْوَذَ ، وَاسْتَعْيَنَ ، وَيَقْوُلُ ، وَيَبْيِعُ ، انْزَاحَتِ الْحَرَكَاتُ إِلَى مَا قَبْلَ الْعِيْنِ فِيهَا ، وَاسْتُتْبِعَ الانْزِيَاحُ هُنَا بِقَلْبِ هَذِهِ الجُوفِ جَمِيعًا أَلِفًا لِيُنَاسِبَ الْحَرَكَةَ الْمُنْزَاحَةَ

[1] الكتاب ــ سيبويه : ٤ / ٤٥٦

[2] الكتاب ــ سيبويه : ٤ / ٤٥٦

مُكَوِّنًا مَقْطَعًا طَوِيلًا مَفْتُوحًا [صَامِتٌ C + حَرَكَةٌ طَوِيلَةٌ VV] يُحَقِّقُ مُرُونَةً فِي الأَدَاءِ دُونَ إِخْلَالٍ بِالصِّيَغِ .

وَحِينَ تُخَفَّفُ الْهَمْزَةُ الْمُتَحَرِّكَةُ بِالْحَذْفِ الْبَلِيغِ فِي مَوْضِعٍ يَزْدَادُ فِيهِ ثِقَلُهَا لِوُقُوعِهَا بَعْدَ سَاكِنٍ يُضَاعِفُ الْجُهْدَ الْعَضَلِيَّ ؛ فَإِنَّنَا نَلْحَظُ انْزِيَاحَ حَرَكَتِهَا إِذَا كَانَ قَبْلَهَا مَا يَحْتَمِلُ الْحَرَكَةَ كَحَرْفٍ صَحِيحٍ سَاكِنٍ كَمَا فِي نَحْوِ الْمَرْأَةِ وَالْكَمْأَةِ ، أَوْ وَاوٍ أَوْ يَاءٍ أَصْلِيَّتَيْنِ كَمَا فِي نَحْوِ شَيْءٍ وَ سَوْءٍ ، أَوْ زَائِدَتَيْنِ لِلْإِلْحَاقِ كَمَا فِي جَيْئَلٍ وَ حَوْأَبٍ ، فَفِي نَحْوِ مَرَاةٍ وَكَمَاةٍ يَسْقُطُ الْهَمْزُ وَتَنْزَاحُ الْحَرَكَةُ إِلَى السَّاكِنِ الصَّحِيحِ قَبْلَهَا ، **mar’ah ⊂ marah** ، **kam’ah ⊂ kamah** ؛ فَتُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ الْهَمْزِ الانْفِجَارِيِّ الَّذِي يَقْتَضِيهِ وُقُوعُهَا بَعْدَ سَاكِنٍ .

وَمَا يَحْدُثُ فِي الْعَرَبِيَّةِ يَحْدُثُ مَا يُمَاثِلُهُ فِي اللُّغَتَيْنِ الْعِبْرِيَّةِ ، وَالآرَامِيَّةِ ، حَيْثُ تَسْقُطُ الْهَمْزَةُ فِيهِمَا فِي غَيْرِ أَوَّلِ الْكَلِمَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ ، فَبَيْنَمَا تُنْطَقُ الْهَمْزَةُ فِي الْعِبْرِيَّةِ فِي نَحْوِ :

(אָכַל) = (’ākal) = (أَكَلَ)

(אָסַר) = (’āsar) = (حَبَسَ / أَسَرَ / رَبَطَ / قَيَّدَ)

وَفِي الآرَامِيَّةِ فِي نَحْوِ : ( ) = (’enā) = (أَنَا)

( ) = (’arb<ā) = (أَرْبَعَةٌ)

ففي كثير من الكلمات في هاتين اللغتين نجد الهمزة لا تنطق في وسط الكلمة أو في آخرها ، رغم وجود الرمز الكتابي الذي يمثلها ، ومثال ذلك

في (العبرية) : (רֹאשׁ) = (rōš) = (رأس)

(בָּרָא) = (bārā) = (برأ / خلق)

وفي الآرامية : ( ) = (bīrā) = (بئر)

( ) = (htā) = (أخطأ)

ومع ذلك نجد الهمزة تنطق في وسط الكلمة في هاتين اللغتين في بعض الأحيان ، مثال ذلك

في العبرية : (שָׁאַל) = (šā’al) = (سأل)

وفي الآرامية : ( ) = (ḳā ’ em) = (قائم) [1]

وَأَبْعَدُ مِنْ هَذَا حِينَ تُحْذَفُ الْهَمْزَةُ تَخْفِيفًا مِنَ الفِعْلِ رَأَى إِذَا اشْتَقَقْتَ الْمُضَارِعَ مِنْهُ : يَرَى ، وَيُرِي ، و أَرَى ، وَتَرَى ، وَنَرَى ، وَالأَصْلُ فِيهَا : يَرْأَى ، وَ يُرْئِي ، وَ أَرْأَى ، وَتَرْأَى ، وَنَرْأَى ؛ وَالْمُضَارِعُ يَرْأَى بِالْفَتْحِ لِحَرْفِ الْحَلْقِ ، فَحُذِفَتِ الْهَمْزَةُ الَّتِى هِيَ عَيْنُ الْفِعْلِ فِي الْمُضَارِعِ ، وَأَكْثَرُ النُّحَاةِ أَنَّ حَذْفَهَا لِلتَّخْفِيفِ القِيَاسِيِّ عَلَى حَدِّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :﴿ يُخْرِجُ الْخَبَ ﴾[2] ، وَ ﴿ قَدَ افْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[3] بَعْدَ أَنِ انْزَاحَتْ حَرَكَتُهَا إِلَى الرَّاءِ قَبْلَهَا ؛ فيقولون فِي الْمُضَارِعِ أَوِ الأَمْرِ : أَرَى ، وَ يَرَى ، وَ نَرَى ، وَ رَ ، وَ رَيْ ، وَ رَيَا ، وَ رَوْا ، وَ رَيْنَ ، وَ أَرَيْتُهُ ، وَ أَرَيْنَاهُ ، وَ أَرَتْهُ ، وَ تُرِيه ، وَ نُرِيهِ ، وَ يُرِيهِ ، وَ أَرِهِ ، وَ أَرِيهِ ، وَ أَرِيَاهُ ، وَ أَرُوهُ ، و أَرِينَه ، وكَذَلِكَ الفَاعِلُ وَالْمَفْعُولُ الْمُرِي ، وَ الْمُرَى[4]

وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[5]، جَاءَتْ (سَلْ) قِيَاسًا لِمَهْمُوزِ الْعَيْنِ عَلَى مَهْمُوزِ الْفَاءِ ، حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ وَ انْزَاحَتْ حَرَكَتُهَا إِلَى السَّاكِنِ الصَّحِيحِ قَبْلَهَا ؛ فَانْتَفَى السَّبَبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ اجْتُلِبَتْ هَمْزَةُ الْوَصْلِ ؛ فَحُذِفَتْ أَيْضًا ، وَفْقَ مَا قَرَّرَهُ « **سيبويه** » مِنْ أَنَّ كُلَّ هَمْزَةٍ مُتَحَرِّكَةٍ كَانَ قَبْلَهَا حَرْفٌ سَاكِنٌ ؛ فَأَرَدْتَ أَنْ تُخَفِّفَ ، حَذَفْتَهَا وَأَلْقَيْتَ حَرَكَتَهَا عَلَى السَّاكِنِ الَّذِي قَبْلَهَا .[6]

وَحِينَ تُحْذَفُ هَمْزَةُ خَيْرٍ ، وَشَرٍّ فِي التَّفْضِيلِ ، فِي غَالِبِ الاسْتِعْمَالَاتِ الفَصِيحَةِ ، هُرُوبًا مِنْ ثِقَلِ الْهَمْزَةِ ، وَنُزُوعًا إِلَى التَّخْفِيفِ ؛ إِذِ الأَصْلُ : أَخْيَرُ مِنْكَ ، وَأَشْرَرُ مِنْكَ ؛ وَتُدْغَمُ إِحْدَى الرَّاءَيْنِ فِي الأُخْرَى مِنْ قَوْلِهِمْ : شَرٌّ مِنْكَ ؛ لِئَلَّا يَجْتَمِعَ

---

[1] انظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب ص ٢٢٤ ، والمعجم الحديث للدكتور ربحي كمال.

[2] النمل : ٢٧ / ٢٥

[3] المؤمنون : ٢٣ / ١

[4] يستثنى من ذلك : أَرْأَى مِنْهُ ، وَ مَا أَرْآهُ ، وَ أَرْءِ بِهِ ، انظر : شرح التسهيل لابن مالك :

[5] البقرة : ٢١١/٢

[6] الكتاب ــ سيبويه : ١٥٦/٢

حَرْفَانِ مُتَحَرِّكَانِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُسْتَثْقَلُ فِي كَلَامِهِمْ "[1]، وَمَا كَانَ لِهَذَا الإِدْغَامِ أَنْ يَتَحَقَّقَ لَوْلَا انْزِيَاحُ الْحَرَكَةِ مِنْ عَيْنِ الْكَلِمَةِ إِلَى فَائِهَا .

وَكَمَا لَاحَظْنَا فَإِنَّ كُلَّ صُوَرَ الانْزِيَاحِ الَّتِي رَأَيْنَاهَا كَانَتْ تَأْخُذُ اتِّجَاهًا تَقَدُّمِيًّا ، بِمَعْنَى أَنَّ الصَّوَائِتَ تَنْزَاحُ إِلَى الْحَرْفِ السَّاكِنِ الْمُتَقَدِّمِ عَلَيْهَا ، وَهُوَ مَا رَأَيْنَاهُ يُسْهِمُ إِسْهَامًا وَاضِحًا فِي تَخْفِيفِ الْجُهْدِ الْعِلَاجِيِّ أَثْنَاءَ عَمَلِيَّاتِ التَّصْوِيتِ ، إِذْ إِنَّ انْزِيَاحَ هَذِهِ الصَّوَائِتِ إِلَى مَا يَقْرُبُ مِنْ أَوَّلِ الْكَلِمَةِ يُخَفِّفُ مِنَ الثِّقَلِ الَّذِي يَتَوَضَّعُ فِي الأَطْرَافِ بِتَكْوِينِهِ لِمَقْطَعٍ مُتَوَسِّطٍ هُنَاكَ ، وَلَمْ نَرْصُدْ شَكْلًا مِنْ أَشْكَالِ الانْزِيَاحِ بِصُورَةٍ ارْتِدَادِيَّةٍ رَجْعِيَّةٍ ، بِمَعْنَى أَنْ تَنْزَاحَ الْحَرَكَةُ إِلَى الْخَلْفِ إِلَّا فِي صُورَةٍ وَاحِدَةٍ تَرْتَبِطُ دَائِمًا بِالْمِثَالِ الوَاوِيِّ ، عِنْدَ حَذْفِ فَائِهِ فِي نَحْوِ : زِنَةٍ ، وَعِدَةٍ ، وَسِمَةٍ ، وَصِلَةٍ ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي مَكْسُورِ العَيْنِ كَمَا رَأَيْنَا ، لَكِنَّهُ قَلِيلٌ فِي مَفْتُوحِهَا كَمَا فِي دَعَةٍ ، وَسَعَةٍ ، حِينَ تُحْذَفُ الفَاءُ فَتَنْزَاحُ الْحَرَكَةُ مُتَرَاجِعَةً إِلَى الْعَيْنِ التَّالِيَةِ الَّتِي صَارَتْ أَوَّلًا ، وَإِعَادَةُ تَشْكِيلِ الْبِنْيَةِ هُنَا تَسْتَوْجِبُ التَّعْوِيضَ لِصَيْرُورَتِهَا فِي هَذَا الشَّكْلِ الْجَدِيدِ إِلَى حَرْفَيْنِ مُتَحَرِّكَيْنِ ؛ فَأُمِدَّهَا النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ بِالتَّاءِ فِي آخِرِهَا عِوَضًا عَمَّا فَقَدَتْهُ فِي أَوَّلِهَا .

الْمَبْحَثُ السَّادِسُ

آلِيَّةُ انْزِيَاحِ الصَّوَامِتِ

الْقَلْبُ الْمَكَانِيُّ « Metathesis »

عِنْدَ تَنَاوُلِنَا لِجَمِيعِ الآلِيَّاتِ السَّابِقَةِ كُنَّا نَجِدُ أَنَّ العَمَلِيَّاتِ التَّجْمِيلِيَّةَ الَّتِي تَنَالُ البِنْيَةَ ، وَتَهْدِفُ إِلَى تَخْفِيفِ الجُهْدِ الْعِلَاجِيِّ أَثْنَاءَ التَّصْوِيتِ ، كَانَتْ تَسْتَهْدِفُ بُؤْرَةً مُحَدَّدَةً مِنْ أَجْلِ إِزَالَةِ الاسْتِعْصَاءِ ، وَعِلَاجِ التَّعَثُّرِ ، لَكِنْ حِينَ تَعْجَزُ هَذِهِ الآلِيَّاتُ عَنْ إِزَالَةِ الثِّقَلِ وَالتَّغَلُّبِ عَلَى التَّجَمُّعَاتِ الْمُسْتَعْصِيَةِ فِي البِنْيَةِ ، يَلْجَأُ النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ إِلَى تَوْسِيعِ دَائِرَةِ التَّصَرُّفِ وَاسْتِحْدَاثِ وَسَائِلَ جَدِيدَةٍ فِي التَّدَخُّلِ الْجِرَاحِيِّ لِلْبِنْيَةِ ، وَإِذَا كُنَّا فِي الْمَبْحَثِ السَّابِقِ قَدْ تَنَاوَلْنَا انْزِيَاحَ الصَّوَائِتِ فِي البِنْيَةِ عَنْ مَوَاضِعِهَا مِنْ أَجْلِ تَخْفِيفِ الْجُهْدِ أَثْنَاءَ التَّصْوِيتِ ، فَإِنَّنَا هُنَا نَجِدُ شَكْلًا آخَرَ مِنْ أَشْكَالِ الانْزِيَاحِ فِي الْبِنْيَةِ يَرْتَبِطُ بِشَكْلٍ أَكْبَرَ بِالأَصْوَاتِ الصَّامِتَةِ حِينَ يَتَصَدَّى النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ لِمَوَاطِنِ التَّأَزُّمِ فِي الْبِنْيَةِ

[1] انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ــ أبو البركات الأنباري : ٤٩١/٢

لِيُزِيحَ بَعْضَ الْمُعَرْقِلَاتِ إِلَى مَنَاطِقَ بَعِيدَةٍ ؛ لِتَتَخَلَّصَ الْبِنْيَةُ مِنْ هَذِهِ التَّشَابُكَاتِ الْمُسْتَعْصِيَةِ ، وَتَتَشَكَّلَ صُورَةٌ جَدِيدَةٌ أَكْثَرُ خِفَّةً وَمُلَائِمَةً لِلتَّصْوِيتِ ، وَأَطْلَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى هَذِهِ الآلِيَّةِ « **الْقَلْبَ الْمَكَانِيَّ** » « **Metathesis** » ، وَهُوَ ظَاهِرَةٌ عَامَّةٌ فِي كُلِّ اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ [١] فَفِي الْعِبْرِيَّةِ « שִׂמְלָה » ، مَقْلُوب (שִׂלְמָה) » [٢]، وَكَذَلِكَ فِي اللُّغَاتِ الْهِنْدُو–أُورُبِيَّةِ [٣] ففي الإِنْجِلِيزِيَّةِ « **Hros** » ، « **Horse** » ، وَنَجِدُهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ مُرْتَبِطَةً بِتَغْيِيرَاتٍ تَارِيخِيَّةٍ ذَاتُ أُطُرٍ قِيَاسِيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِتَتَابُعِ هَمْزَتَيْنِ ، أَوِ اشْتِقَاقِ الْفَاعِلِ مِنَ الْجُوفِ الْمَهْمُوزَةِ اللَّامِ ، أَوْ فِي إِطَارِ اخْتِلَافَاتٍ لَهَجِيَّةٍ كَمَا فِي « يَئِسَ » ، وَ« أَيِسَ» ، أَوْ لِعَوَامِلَ تَرْتَبِطُ بِأَخْطَاءٍ فِي النُّطْقِ .

فَحِينَ تَتَقَارَبُ هَمْزَتَانِ وَبَيْنَهُمَا حَاجِزٌ غَيْرُ حَصِينٍ تَتَوَضَّعُ حِينَئِذٍ بُؤْرَةٌ وَاضِحَةٌ مِنَ التَّثَقُّلِ فِي التَّصْوِيتِ ، فَالْجَمْعُ لِبِئْرٍ عَلَى أَفْعَالٍ يَنْقَاسُ عَلَى « **أَبْآرٍ** » ، وَلَا يَخْفَى مَافِيهِ مِنْ ثِقَلٍ نَاجِمٍ عَنْ تَقَارُبِ التَّصْوِيتِ بِهَمْزَتَيْنِ بَيْنَهُمَا حَرْفٌ صَحِيحٌ سَاكِنٌ ، وَالسَّاكِنُ حَاجِزٌ غَيْرُ حَصِينٍ فَكَأَنَّهُ تَوَالِ لِهَمْزَتَيْنِ فِي التَّصْوِيتِ ، وَمِنْ ثَمَّ يَسْتَهْدِفُ النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ هَذِهِ الْبُؤْرَةَ الْمُسْتَثْقَلَةَ ؛ فَيَعْمَدُ إِلَى الْهَمْزَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الصِّيغَةِ ؛ فَيُزِيحُهَا إِلَى مَوْضِعِ الفَاءِ ، وَمَا يَسْتَوْجِبُهُ ذَلِكَ مِنْ إِبْدَالِهَا أَلِفًا لِوُقُوعِهَا سَاكِنَةً بَعْدَ هَمْزَةٍ مَفْتُوحَةٍ ؛ فَتُصْبِحَ « **آبَارَ** » بِهَمْزَةٍ وَاحِدَةٍ تَكُونُ أَيْسَرَ فِي التَّصْوِيتِ .

وَمُمَاثِلٌ لَهُ مَا يَحْدُثُ فِي رِئْمٍ حِينَ تُجْمَعُ عَلَى أَفْعَالٍ « أَرْآمٍ » ، لَكِنَّهَا تَؤُولُ بِالانْزِيَاحِ الْمَكَانِيِّ إِلَى « آرَامٍ » ، وَلَعَلَّ مَا حَدَثَ فِي « شَيْءٍ » حِينَ جَاءَ مِنْهَا اسْمُ الْجَمْعِ « شَيْئَاءُ » عَلَى « فَعْلَاءَ » مِثْلِ « طَرْفَاءَ »[٤] ، وَ « حَلْفَاءَ »[١] فِي أَصَحِّ الْمَذَاهِبِ

---

[١] **See : Moscati, Sabatino and others (١٩٨٠): An Introduction to Comparative Grammar of the Semitic languages: Phonology and morphology ٣rd edition, p.٦٣. Germany: Otto Harrassowitz.**

[٢] **C.Brockelmann Kurzgefasste veglechende Grammatik , p. ١٣٣ / C.Brockelmann Semitische sprachwissen schaft , Leipzig , ١٩٠٦ , p.٩٥ / C.Brockelmann : Precis de linguistique semitique , ١٩١٠, p.١١٠**

[٣] **See : Hume, Elizabeth (٢٠٠٤): "The indeterminacy/attestation model of metathesis" in Language ٨٠, p. ٢٠٣–٢٣٧. And also see: Lass, Roger (١٩٨٤): Phonology, p. ١٨٨. Cambridge: Cambridge University Press.**

[٤] الطرفاء : شجر ، الواحدة : طَرَفَةٌ ــ بالتحريك ــ وبها سُمِّي طَرَفَة بن العبد .

وَهُوَ مَذهَبُ « الخَلِيلِ » ، وَ « سِيبَوَيْهِ » وَ « جُمْهُورِ البَصْرِيِّينَ »[٢] ، ثُمَّ قُدِّمَتِ اللَّامُ عَلَى الْفَاءِ كَرَاهَةَ اجْتِمَاعِ هَمْزَتَيْنِ بَيْنَهُمَا حَاجِزٌ غَيْرُ حَصِينٍ وَهُوَ الأَلِفُ ؛ فَصَارَتْ : « أَشْيَاءَ » ، وَالْوَزْنُ « لَفْعَاءَ » .

والأَمْرُ أَشَدُّ عُسْرًا وَتَعْقِيدًا حِينَ تَجْتَمِعُ ثَلَاثُ هَمْزَاتٍ حَوْلَ سَاكِنَيْنِ فِي جَمْعِ « رَأْي » عَلَى « أَفْعَالٍ » ، فَحِينَ تُقْلَبُ اليَاءُ الْمُتَطَرِّفَةُ أَلِفًا ، تَتَوَضَّعُ الأَلِفُ بَعْدَ أَلِفٍ زَائِدَةٍ مِمَّا يَسْتَوْجِبُ قَلْبَهَا هَمْزَةً : « أَرْأَاي » ⊂ « أَرْأَاا » ⊂ « أَرْآء » ؛ فَتَحْتَشِدُ فِي بِنْيَةِ الْكَلِمَةِ ثَلَاثُ هَمْزَاتٍ يَتَوَسَّطُ كُلَّ اثْنَتَيْنِ مِنْهُمَا سَاكِنٌ غَيْرُ حَصِينٍ فَكَأَنَّهُ اجْتِمَاعٌ لِثَلَاثِ هَمْزَاتٍ مُتَتَابِعَةٍ ، فَيَكُونُ الحَلُّ فِي انْزِيَاحِ الْهَمْزَةِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْكَلِمَةِ إِلَى مَوْضِعِ الْفَاءِ الَّتِي هِيَ أَيْضًا هَمْزَةٌ ؛ فَتَجْتَمِعُ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ هَمْزَتَانِ أَوَّلُهُمَا مَفْتُوحَةٌ وَالثَّانِيَةُ سَاكِنَةٌ ؛ فَتُقْلَبُ ثَانِيَتُهُمَا أَلِفًا ؛ فَصَارَتْ « آرَاء » بِزِنَةِ « أَعْفَالٍ » :

« أَرْأَاء » ⊂ « أَأْرَاء » ⊂ « آرَاء »

فَالانْزِيَاحُ هُنَا شَتَّتَ هَذِهِ البُؤْرَةَ الْمُسْتَثْقَلَةَ ، وَأَنْتَجَ لَنَا صُورَةً أَكْثَرَ يُسْرًا فِي الأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ .

وَفِي الْجُوفِ الثُّلَاثِيَّةِ مَهْمُوزَةِ اللَّامِ نَحْوِ « جَاءَ » مِنَ الْمَجِيءِ ، وَأَلِفُهُ مُنْقَلِبَةٌ عَنْ يَاءٍ ؛ فَأَصْلُهُ : « جَيَءَ » ، تَحَرَّكَتِ الْيَاءُ ، وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا ؛ فَقُلِبَتْ أَلِفًا وَفْقَ الْقَوَاعِدِ الْمُقَرَّرَةِ ، وَعِنْدَ اشْتِقَاقِ فَاعِلٍ مِنْهُ فَهُوَ « جَايِئٌ » ، سَتَقَعُ الْيَاءُ مَكْسُورَةً بَعْدَ أَلِفٍ فَاعِلٍ ؛ فَتُقْلَبُ هَمْزَةً لِتَصِيرَ « جَائِئ » ، فَتَتَوَضَّعُ حِينَئِذٍ هَمْزَتَانِ فِي آخِرِ الْبِنْيَةِ مِمَّا يُشَكِّلُ بُؤْرَةً مُسْتَثْقَلَةً فِي مَوْضِعٍ يَتَطَلَّبُ التَّخْفِيفَ ، وَهُنَا نَمِيلُ إِلَى مَا قَرَّرَهُ « **الخليل** »[٣] مِنَ افْتِرَاضِ وُجُوبِ الانْزِيَاحِ الأَمَامِيِّ لِلَامِ الْكَلِمَةِ لِلْحَيْلُولَةِ دُونَ تَشَكُّلِ هَذِهِ الْبُؤْرَةِ الْمُسْتَثْقَلَةِ الْمُفْتَرَضَةِ ؛ مِنْ خِلَالِ انْزِيَاحِ اللَّامِ الَّتِي هِيَ هَمْزَةٌ إِلَى مَوْضِعِ الْعَيْنِ الَّتِي هِيَ يَاءٌ فَتَصِيرُ مِنْ « جَايِئٍ » بِزِنَةِ « فَاعِلٍ » إِلَى « جَائِي » بِزِنَةِ « فَالِعٍ » ، وَحِينَهَا تُسْتَثْقَلُ الضَّمَّةُ عَلَى الْيَاءِ ؛ فَتُحْذَفُ تَخْفِيفًا ؛ فَيَلْتَقِي سَاكِنَانِ وَ هُمَا اليَاءُ وَالتَّنْوِينُ ؛ فَتُحْذَفُ الْيَاءُ

---

[١] الحلفاء : نقل صاحب اللسان عن الأزهري قوله : " الحلفاء : نبت أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخل والخـوص ، ينبت في مغايض الماء والنُزُورِ ، الواحدة : حَلَفَةٌ مثل قصبة وقصباء وطَرَفَة وطرفاء . (اللسان : طرف)

[٢] انظر : شرح الرضي على الشافية للرضي الأستراباذي : ١ / ٢٩

[٣] الكتاب – سيبويه : ٣٧٧/٤

تَخَلُّصًا مِنَ الْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ ؛ فَتُعَلُّ إِعْلَالَ قَاضٍ ؛ فَتَؤُولُ إِلَى « جَاءٍ » بِزِنَةِ « فَالٍ » ؛ لِنَصِلَ إِلَى أَخَفِّ مَا يُمْكِنُ مِنْ جُهْدٍ عِلَاجِيٍّ أَثْنَاءَ التَّصْوِيتِ دُونَ إِخْلَالٍ بِالصِّيغَةِ .

« جَايِئٌ » ⊂ « جَائِيٌّ » ⊂ « جَاءٍ »

وَعَنْ طَرِيقِ الانْزِيَاحِ أَيْضًا فَسَّرَ الْخَلِيلُ – وَتَابَعَهُ الكُوفِيُّونَ – جَمْعَ « خَطِيئَةٍ » عَلَى « خَطَايَا » بِزِنَةِ « فَعَالَى » ، وَالأَصْلُ أَنْ يَكُونَ جَمْعُ « خَطِيئَةٍ » عَلَى « خَطَايِئَ» ، إِلَّا أَنَّ الْهَمْزَةَ قَدِ انْزَاحَتْ إِلَى مَوْضِعِ الْيَاءِ لِئَلَّا يُؤَدِّيَ الْأَصْلُ إِلَى أَنْ تُبْدَلَ الْيَاءُ هَمْزَةً عَلَى حَدِّ إِبْدَالِهَا فِي صَحِيفَةٍ وَصَحَائِفَ لِوُقُوعِهَا قَبْلَ الطَّرَفِ بِحَرْفٍ ؛"لِأَنَّهُمْ يُجْرُونَ مَا قَبْلَ الطَّرَفِ بِحَرْفٍ مِنْ هَذَا النَّوْعِ مُجْرَى الطَّرَفِ فِي الْإِبْدَالِ ، وَهُمْ يُبْدِلُونَ مِنَ الْيَاءِ إِذَا وَقَعَتْ طَرَفًا وَقَبْلَهَا أَلِفٌ زَائِدَةٌ هَمْزَةً "[1]، وَمِنْ ثَمَّ لَوْ قُدِّمَتِ الْهَمْزَةُ عَلَى الْيَاءِ فِي « خطايئ » ؛ فَسَتَتَوَضَّعُ هَمْزَتَانِ طَرَفًا ، وَهُوَ مَرْفُوضٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَلَمْ يَرِدْ إِلَّا فِي قَوْلِهِ :

فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى الْمَوْتُ جَائِئٌ *** وَلَكِنَّ أَقْصَى مُدَّةِ الْمَوْتِ عَاجِلُ [2]

فَلَمَّا قُدِّمَتِ الْهَمْزَةُ إِلَى مَوْضِعِ الْيَاءِ أَبْدَلُوا مِنَ الْكَسْرَةِ فَتْحَةً ، وَمِنَ الْيَاءِ أَلِفًا ؛ فَتَوَسَّطَتِ الْهَمْزَةُ بَيْنَ أَلِفَيْنِ ، وَالأَلِفُ قَرِيبَةٌ مِنَ الْهَمْزَةِ ، فَكَأَنَّهُ اجْتِمَاعُ لِثَلَاثِ أَلِفَاتٍ ؛ فَأَبْدَلُوا مِنَ الْهَمْزَةِ يَاءً ؛ فَآلَتْ إِلَى أَخَفِّ صُورَةٍ مُمْكِنَةٍ : « خَطَايَا » بِزِنَةِ «فَعَالَى » .

« خَطَايـــــــئ » ⊂ « خَطَائـــــــي » ⊂ « خَطَاءَا »⊂ « خَطَايَا »

وَقَدْ لَا يَرْتَبِطُ انْزِيَاحُ الصَّوَامِتِ بِالْهَمْزَةِ ، فَقَدْ يَكُونَ نَاجِمًا عَنِ تَكَتُّلَاتٍ لِأَصْوَاتٍ مُتَقَارِبَةٍ فِي التَّصْوِيتِ كَمَا فِي « قُوُوسٍ » جَمْعِ « قَوْسٍ » عَلَى « فُعُولٍ » حِينَ تَتَكَتَّلُ الْوَاوَاتُ وَالضَّمَّاتُ ، وَهِيَ مُتَقَارِبَةٌ فِي التَّصْوِيتِ ، إِذْ تَحْتَشِدُ فِي الْبِنْيَةِ وَاوَانِ أُولَاهُمَا حَرْفٌ صَامِتٌ يَتَوَسَّطُ ضَمَّتَيْنِ ، وَثَانِيَتُهُمَا صَائِتٌ مَدِّيٌّ طَوِيلٌ ، وَلِلتَّخْفِيفِ مِنْ هَذِهِ الْمَقَاطِعِ الْمُتَوَالِيَةِ الْمَنْبُورَةِ لَجَأَ النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ إِلَى الانْزِيَاحِ التَّبَادُلِيِّ بَيْنَ عَيْنِ الْكَلِمَةِ وَلَامِهَا ؛ فَصَارَتْ : « قُسُووٌ » بِزِنَةِ « فُلُوعٌ » ، وَهُوَ مَا اسْتَتْبَعَ قَلْبَ الوَاوِ الثَّانِيَةِ يَاءً لِوُقُوعِهَا فِي آخِرِ اسْمٍ مُعْرَبٍ وَقَبْلَهَا ضَمَّةٌ ؛ فَصَارَتْ « قُسُويٌ » ، وَحِينَمَا اجْتَمَعَتْ

[1] الإنصاف في مسائل الخلاف – الأنباري : ٨٠٥/٢ / م ١١٦

[2] البيت من الطويل ولم نعثر له على قائل ، وهو في الإنصاف ٨٠٥/٢ ، شرح الأشموني : ١٠٠/١

الْوَاوُ وَالْيَاءُ وَسَبَقَتْ إِحْدَاهُمَا بِالسُّكُونِ قُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً ، وَأُدْغِمَتْ فِي الْيَاءِ الْمُتَطَرِّفَةِ ، وَكُسِرَتِ السِّينُ قَبْلَهَا لِمُنَاسَبَةِ الْيَاءِ ، وَهُوَ مَا اسْتَتْبَعَهُ كَسْرُ الْقَافِ قَبْلَهَا لِلتَّخَلُّصِ مِنْ ثِقَلِ الضَّمَّةِ قَبْلَ الْكَسْرَةِ ؛ فَآلَتِ الْبِنْيَةُ فِي النِّهَايَةِ إِلَى « قِسِيٌّ » ، وَالْجَدِيدُ هُنَا أَنَّ الِانْزِيَاحَ قَدْ حَدَثَ بَيْنَ صَوْتَيْنِ غَيْرِ مُتَجَاوِرَيْنِ حَيْثُ وَقَعَ الْفَصْلُ بَيْنَهُمَا بِحَرْفٍ زَائِدٍ وَهُوَ وَاوُ الصِّيغَةِ .

وَقَدْ لَا يَتَحَصَّلُ الِانْزِيَاحُ لِتَوَضُّعَاتٍ تَتَمَرْكَزُ فِيهَا الْهَمْزَاتُ أَوِ الْوَاوَاتُ ، وَإِنَّمَا تُرَتِّبُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَحْيَانِ نَزْعَةٌ إِلَى التَّبَادُلِ الْمَوْقِعِيِّ رَغْبَةً فِي التَّمَايُزِ فِي إِطَارٍ لَهَجِيٍّ ، أَوْ نَتِيجَةً لِأَخْطَاءٍ فِي النُّطْقِ اسْتَلَبَتْ مَشْرُوعِيَّةً بِتَطَاوُلِ أَمَدِ اسْتِعْمَالِهَا ، كَمَا نَجِدُ فِي حَادٍ ، وَأَيِسَ ، وَطَأْمَنَ ، وَامْضَحَلَّ ، فَفِي « حَادِي » عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ ، وَهُوَ « فَاعِلٌ» مِنْ « وَحَدَ » ، وَهُنَا نَجِدُ أَنَّ التَّرْتِيبَ الخَطِّيَّ لِلأُصُولِ يُخَالِفُ مَا تَوَاتَرَ فِي وَاحِدٍ ، وَ وَحَّدَ ، وَ وَحِيدٍ ، وَ مُتَوَحِّدٍ ، وَ تَوحِيدٍ ، وَ وَحْدَانِيَّةٍ ، وَهُوَ مَا يَجْزِمُ بِتَعَرُّضِ بِنْيَةِ « حَادِي » لِلتَّخَلْخُلِ وَالِانْزِيَاحِ بِصُورَةٍ لَمْ يَحْدُثْ فِيهَا مُجَرَّدُ تَبَادُلٍ مَوْقِعِيٍّ بَيْنَ حَرْفَيْنِ ، بَلِ انْزَاحَ الْحَرْفَانِ إِلَى مَوْضِعَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الْبِنْيَةِ ؛ فَانْزَاحَتِ الْعَيْنُ إِلَى مَوْضِعِ الْفَاءِ ، وَانْزَاحَتِ الْفَاءُ إِلَى مَوضِعِ اللَّامِ ؛ فَقُلِبَتْ يَاءً لِتُنَاسِبَ كَسْرَ مَا قَبْلَهَا ؛ فَآلَتْ إِلَى « حَادِي» بِزِنَةِ « عَالِفٍ » .

الْمَبْحَثُ السَّابِعُ

آلِيَّةُ الإِقْحَامِ

ذَكَرْنَا فِي بِدَايَةِ هَذَا الْبَحْثِ أَنَّ النِّظَامَ اللُّغَوِيَّ فِي الْعَرَبِيَّةِ اعْتَمَدَ آلِيَّاتٍ تَرْتَكِزُ عَلَى نَوْعَيْنِ مِنَ الْمُعَالَجَاتِ ، يَقِفُ كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى طَرَفَيْ نَقِيضٍ فِي الـمَنْزَعِ ، وَإِنْ اتَّفَقَا فِي الْهَدَفِ الـمَأْرَبِ ، يَمِيلُ أَحَدُهُمَا إِلَى الْحَذْفِ وَالبَتْرِ ، وَيَنْزِعُ الآخَرُ إِلَى الزِّيَادَةِ وَالإِقْحَامِ ، تَتَوَسَّطُهُمَا مَنَازِعُ مُتَبَايِنَةٌ تَتَلَمَّسُ تَيْسِيرَ اللَّفْظِ ، وَتَحْقِيقَ أَكْبَرِ قَدْرٍ مِنَ الاسْتِخْفَافِ ، والآلِيَّةُ الَّتِي سَنَطْرَحُهَا هُنَا تَقِفُ عِنْدَ النَّقِيضِ الَّذِي يُخَالِفُ كُلَّ صُوَرِ الاسْتِخْفَافِ الَّتِي عَرَضْنَاهَا بَيْنَ جَنَبَاتِ هَذَا الْبَحْثِ ، وَهِيَ آلِيَّةٌ تَتَوَجَّهُ فِي إِجْرَاءَاتِهَا إِلَى إِقْحَامِ صَامِتٍ أَوْ صَائِتٍ أَوْ أَكْثَرَ فِي بِنْيَةِ الْكَلِمَةِ ، سَوَاءٌ فِي أَوَّلِهَا ، أَوْ فِي وَسَطِهَا ، أَوْ فِي آخِرِهَا .

فَالأَصْوَاتُ اللُّغَوِيَّةُ ، لَيْسَتْ مُجَرَّدَ وَحْدَاتٍ مُتَنَاثِرَةٍ ، وَإِنَّمَا هِيَ نِظَامٌ مُتَّسِقٌ تَحْكُمُهُ عِلَاقَاتٌ خَاصَّةٌ تُمَيِّزُ هَذِهِ اللُّغَةَ أَوْ تِلْكَ عَنْ غَيْرِهَا ، فَعَمَلِيَّةُ التَّجَاوُرِ الصَّوْتِيِّ فِي اللُّغَةِ لَهَا قَوَاعِدُ خَاصَّةٌ تَحْكُمُهَا ؛ تُحَدِّدُ مَا يَجُوزُ ائْتِلَافُهُ ، وَمَا يُسْتَثْقَلُ تَجَاوُرُهُ .

فَمِنَ الْمَبَادِئِ الْمُقَرَّرَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ أَنْ تَبْدَأَ أَبْنِيَتُهَا بِصَامِتٍ وَاحِدٍ « **Consonant** » تَتْبَعُهُ حَرَكَةٌ [ص / ح] ، وَأَنْ تُخْتَتَمَ الْبِنْيَةُ إِمَّا بِحَرَكَةٍ « **Vowel** » [ح] ، وَمِنْ ثَمَّ مَقْطَعٌ مَفْتُوحٌ ، وَإِمَّا بِصَامِتٍ سَاكِنٍ [ص] ، وَمِنْ ثَمَّ مَقْطَعٌ مُغْلَقٌ . وَمِنْ غَيْرِ الْجَائِزِ فِيهَا أَنْ تَبْدَأَ الْكَلِمَةُ بِصَامِتَيْنِ ، أَوْ أَنْ يَتَخَلَّلَ بِنْيَتَهَا صَامِتَانِ مُتَجَاوِرَانِ ، إِلَّا عِنْدَ الْوَقْفِ ، وَكَمَا أَنَّه لَا يَلْتَقِي صَامِتَانِ فِي مَقْطَعٍ وَاحِدٍ ، لَا تَلْتَقِي حركَتَانِ أَيْضًا فِي مَقْطَعٍ وَاحِدٍ ، وَمِنْ ثَمَّ اقْتَصَرَ وُرُودُ بَعْضِ الْمَقَاطِعِ عَلَى حَالَةِ الْوَقْفِ كَالْمَقْطَعِ الْمَدِيدِ الْمُغْلَقِ بِصَامِتٍ ، [ص / ح / ص / ص] الَّذِي يَقْتَصِرُ وُرُودُهُ عِنْدَ الْوَقْفِ ، وَكَذَلِكَ الْمَقْطَعُ الْمَدِيدُ [ص / ح / ح / ص] الَّذِي يَقْتَصِرُ وُرُودُهُ أَيْضًا عَلَى حَالَةِ الْوَقْفِ ، أَوْ وَفْقَ شُرُوطٍ حَدَّدَهَا النُّحَاةُ [1] ، وَلِذَلِكَ فَالْمَقَاطِعُ الْعَرَبِيَّةُ لَا تَتَسَاوَى فِيمَا بَيْنَهَا فِي دَرَجَاتِ الشُّيُوعِ ، حَيْثُ نَجِدُ أَنَّ الْمَقَاطِعَ الْقَصِيرَةَ مِنَ النَّوْعِ الأَوَّلِ [ص / ح] هِيَ أَكْثَرُ الأَشْكَالِ الْمَقْطَعِيَّةِ اسْتِعْمَالًا فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَيَلِيهَا الْمَقْطَعَانِ مِنَ النَّوْعِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ [ص / ح / ح] ، و [ص / ح / ص] ، حَيْثُ تُكَوِّنُ هَذِهِ الأَشْكَالُ الْمَقْطَعِيَّةُ الثَّلَاثَةُ الْكَثْرَةَ الغَالِبَةَ مِنَ الكَلَامِ العَرَبِيِّ ، أَمَّا مَقَاطِعُ النَّوْعِ الرَّابِعِ [ص / ح / ح / ص] ، وَالنَّوْعِ الخَامِسِ [ص / ح / ص / ص] ، فَهُمَا مَقْطَعَانِ قَلِيلَا الاسْتِعْمَالِ فِي الْكَلَامِ العَرَبِيِّ ، وَ وُرُودُهُمَا مُقَيَّدٌ بِحَالَةِ الْوَقْفِ ، أَوْ وَفْقَ الشُّرُوطِ الَّتِي حَدَّدَهَا النُّحَاةُ ، وَهُمَا أَقْرَبُ إِلَى أَنْ يَكُونَا "مِنْ قَبِيلِ الْقِيَمِ الإِيقَاعِيَّةِ الَّتِي تَتَّصِلُ بِقَافِيَةِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ."[2]

فَالنِّظَامُ الْمَقْطَعِيُّ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالسَّامِيَّاتِ عُمُومًا يُوجِبُ الابْتِدَاءَ بِصَامِتٍ تَتْبَعُهُ حَرَكَةٌ [ص / ح] ، وَلَا يُجِيزُ أَنْ يَبْدَأَ الْمَقْطَعُ بِصَامِتَيْنِ [ص / ص] ، أَوْ أَنْ يَتَّصِلَ صَامِتَانِ فِي مَقْطَعٍ وَاحِدٍ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ ، وَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّهَا عَلَى الْمُسْتَوَى النَّظَرِيِّ

[1] انظر : من وظائف الصوت اللغوي للدكتور أحمد كشك : ٢٢ ــ ٢٣

[2] من وظائف الصوت اللغوي للدكتور أحمد كشك : ٢٣

لَا تُمَانِعُ فِي ابْتِدَاءِ بَعْضِ الكَلِمَاتِ بِصَامِتَيْنِ ، فَإِنَّهَا عَلَى الْمُسْتَوَى السِّيَاقِيِّ التَّطْبِيقِيِّ تَلْجَأُ إِلَى تَخْلِيقِ صَوْتٍ تَتَخَلَّصُ بِهِ مِمَّا لَا يَتَّفِقُ مَعَ نِظَامِهَا الْمَقْطَعِيِّ ، وَمِنْ هُنَا كَانَ "عَلَى الْمُتَكَلِّمِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَى النُّطْقِ بِهَذَا السَّاكِنِ الَّذِي بَدَأَتْ بِهِ الْكَلِمَةُ بِوَاسِطَةِ وَسِيلَةٍ صَوْتِيَّةٍ طَارِئَةٍ ، لَيْسَتْ مِنْ بِنْيَةِ الْكَلِمَةِ ، وَقَدْ جَاءَتْ « همزة الوصل» فِي الْكَلَامِ لِتَكُونَ وَسِيلَةَ هَذَا التَّوَصُّلِ إِلَى النُّطْقِ بِالسَّاكِنِ"[1]، وَهُوَ مَا أَدْرَكَ حَقِيقَتَهُ أَسْلَافُنَا الْعُظَمَاءُ ؛ فَسَمَّاهَا « **الْخَلِيلُ** »[2] : « سُلَّمَ اللِّسَانِ » ، إِدْرَاكًا مِنْهُ لِوَظِيفَتِهَا عَلَى الْمُسْتَوَى الْكَلَامِيِّ الِاسْتِعْمَالِيِّ ، وَأَطْلَقَ عَلَيْهَا « **سيبويه** » : « الْأَلِفَ الْمَوْصُولَةَ »[3].

وَمِنْ هُنَا كَانَ مَوْقِفُ النُّحَاةِ الْمُتَشَدِّدِ فِي إِنْكَارِ وُقُوعِ الِابْتِدَاءِ بِالسَّاكِنِ ؛ فَيُقَرِّرُونَ"أَنَّ الْحَرْفَ الَّذِي يُبْتَدَأُ بِهِ ، لَا يَكُونُ إِلَّا مُتَحَرِّكًا ، وَذَلِكَ لِضَرُورَةِ النُّطْقِ ، إِذِ السَّاكِنُ لَا يُمْكِنُ الِابْتِدَاءُ بِهِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِلُغَةٍ ، وَلَا أَنَّ الْقِيَاسَ اقْتَضَاهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ قَبِيلِ الضَّرُورَةِ وَعَدَمِ الإِمْكَانِ."[4]

وَيَقُولُ « **Brockelmann** »:"وَلَا يُمْكِنُ بِحَسْبِ قَوَانِينِ الْمَقَاطِعِ فِي اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ ، أَنْ يَلْتَقِيَ صَوْتَانِ صَامِتَانِ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُ إِذَا وُجِدَ مِثْلُ هَذَيْنِ الصَّوْتَيْنِ فِي صِيغَةٍ مَا ، نَشَأَتْ حَرَكَةٌ جَدِيدَةٌ قَبْلَ الصَّوْتِ الأَوَّلِ ، وَنَادِرًا بَعْدَهُ ، وَكَوَّنَتْ مَعَهُ مَقْطَعًا مُسْتَقِلًّا ، وَتَفَادِيًا لِهَذَا الْوَضْعِ الْخَارِجِ عَلَى نِظَامِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ فَإِنَّ العَرَبِيَّةَ تَعْمَدُ إِلَى تَخْلِيقِ حَرَكَةٍ إِضَافِيَّةٍ مُسَاعِدَةٍ ؛ لِتُنْتِجَ مَقْطَعًا جَدِيدًا . وَالْحَرَكَةُ الَّتِي تُثْبِتُهَا الْعَرَبِيَّةُ فِي بِدَايَةِ الْكَلِمَةِ هِيَ الْكَسْرَةُ."[5]

غَيْرَ أَنَّنَا نَجِدُ أَنْفُسَنَا أَحْيَانًا أَمَامَ وَضْعٍ آخَرَ لَا يُجِيزُهُ النِّظَامُ الصَّوْتِيُّ الْفَرْعِيُّ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَهُوَ بَدْءُ الْمَقْطَعِ بِصَامِتَيْنِ ؛ وَلِذَلِكَ " فَقَدْ كَانَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ تَعْتَمِدَ الْحَرَكَةُ عَلَى هَمْزَةٍ "[6]، وَلِذَلِكَ لَجَأَتِ الْعَرَبِيَّةُ إِلَى تَحْقِيقِ الْكَسْرَةِ فِي بِدَايَةِ الْمَقْطَعِ ، وَنَشَأَ

---

[1] اللغة العربية ــ معناها ومبناها ــ للدكتور تمام حسان : ٢٧٨

[2] انظر : شرح الجاربردي على شافية ابن الحاجب : ١٦٦

[3] انظر : الكتاب ٤ / ١٤٤

[4] شرح المفصل ــ موفق الدين بن يعيش : ١٣١/٩

[5] فقه اللغات السامية ــ كارل بروكلمان : ٧٣ [ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ــ مطبوعات جامعة الرياض ــ ١٩٧٧ م .]

[6] التصريف العربي ــ الطيب البكوش : ١٤٩

عَنْ ذَلِكَ التَّحْقِيقِ الْهَمْزَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِهَمْزَةِ الْوَصْلِ ، وَ هُوَ مَا يُوَضِّحُهُ « **Brockelmann** » بِقَوْلِه :" كُلُّ حَرَكَةٍ فِي اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ تُنْطَقُ فِي الأَصْلِ مُحَقَّقَةً ، بِمَعْنَى أَنْ تُسْبَقَ بِهَمْزَةٍ ."[1]

وَيَرَى « **D.Jones** » أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ قَاصِرًا عَلَى السَّامِيَّات فَحَسْبُ ؛ فَيَقُولُ :" كَثِيرٌ منَ النَّاس – وَبِخَاصَّة الأَلْمَانُ – عِنْدَهُمْ مَيْلٌ ، أَوْ نَزْعَةٌ لإِثْبَات هَمْزَة في بدَايَة جَمِيع الْكَلِمَات الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَبْدَأَ بِحَرَكَة"[2]

فَالنِّظَامُ اللُّغَوِيُّ يَتَمَسَّكُ بِوُجُود الْحَرَكَة بِإِزَاء الصَّامت ، حَتَّى حِينَ يَتَسَمَّحُ النُّحَاةُ لِجَوَاز اجْتِمَاع السَّاكِنَيْن في الوَقْف نَجِدُهُمْ يَتَأَوَّلُونَ ذَلِكَ فَيُعِدُّونَ الْوَقْفَ سَادًّا مَسَدَّ الْحَرَكَة ؛ وَلْنَنْظُرْ إِلَى قَوْلِهِمْ : " وَإِنَّمَا سَدَّ الْوَقْفُ مَسَدَّ الحَرَكَة ؛ لأَنَّ الْوَقْفَ عَلَى الْحَرْف يُمَكِّنُ جَرْسَ ذَلِكَ الْحَرْفَ وَيُوَفِّرُ الصَّوْتَ عَلَيْه ؛ فَيَصِيرُ تَوْفِيرُ الصَّوْت بِمَنْزِلَة الْحَرَكَة لَهُ "[3]، فَإِلَى هَذَا الْحَدِّ يَتَمَسَّكُونَ بِوُجُود الصَّامت مَعَ الْحَرَكَة حَتَّى" لِيُعَلِّلُونَ لِجَوَاز اجْتِمَاع السَّاكِنَيْن في الْوَقْف بِأَنَّ الوَقْفَ سَادٌّ مَسَدَّ الْحَرَكَة منْ أَجْل تَوْفير الصَّوْت ، وَشِدَّة الحَفْل وَالضَّغْط ، حَتَّى لَكَأَنَّ الوَاقِفَ يُرِيد أَنْ يَنْطِقَ بِالْحَرَكَة هَرَبًا منَ الْتِقَاء السَّاكِنَيْن ، أَيْضًا في حَالَة الْوَقْف ! "[4]

وَالنِّظَامُ اللُّغَوِيُّ للعَرَبِيَّة يَنْمَازُ بِقَوَاعِدَ حَاكِمَة فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالابْتِدَاء وَالْوَقْف فَلَا يُسْمَحُ فِيهَا بِالْبَدْء بِسَاكِن ، أَو الْوُقُوف عَلَى مُتَحَرِّك ؛ فَلَا يَسْمَحُ بِأَنْ يَلْتَقِيَ صَامِتَان في أَوَّل الْكَلِمَة [5]عَلَى الْمُسْوَى الأَدَائِيِّ الْمَلْفُوظ حِينَ تَنْدَفِعُ الْكَلِمَاتُ عَلَى لِسَان الْمُتَكَلِّم ؛ فَنَبَّهَ الْعُلَمَاءُ عَلَى عَشْرَة أَسْمَاء مَسْمُوعَة تَبْدَأُ بِسَاكِن ، وَهِيَ « ابْنٌ ، وَابْنُمٌ ، وَابْنَةٌ ، وَاسْمٌ ، وَاسْتٌ ، وَامْرُؤٌ ، وَامْرَأَةٌ ، وَاثْنَان ، وَاثْنَتَان ، وَايْمُنُ » ، ، وَحَرْفٌ وَاحِدٌ هُوَ « أَلْ » ، وَكَذَلِكَ الْمَاضِي وَالأَمْرُ وَالْمَصْدَرُ منَ انْفَعَلَ ، وَافْتَعَلَ ، وَاسْتَفْعَلَ ، وَافْعَلَّ ، وَافْعَالَّ ، وَافْعَوْعَلَ ، وَافْعَوَّلَ ، وَافْعَنْلَلَ ، وَافْعَلَلَّ ، وَافْعَنْلَى[6]، وَتَفَادِيًا لِهَذَا الْوَضْعِ الْمُنَاوِئُ لِنِظَامِ

---

[1] فقه اللغات السامية ــ كارل بروكلمان : ٤١

[2] D.Jones – An outline of English phonetics : ١٥

[3] شرح المفصل ــ موفق الدين بن يعيش : ٩/ ١٢٠ – ١٢١

[4] أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ــ د / عبد الصبور شاهين : ٣٩٦ [الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ــ الطبعة الأولى ــ ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٧ م]

[5] انظر : فقه اللغات السامية – كارل بروكلمان : ٧٣

[6] انظر : كتاب سيبويه : ٤/١٤٤ – ١٤٥ ، و المنصف : ١/٥٣ ، شرح المفصل : ٩/١٣١–١٣٦ ، ، والإيضاح في شرح المفصل :٢/٣٣٦ – ٣٦٨،و شرح الرضي على الشافية ، ٢/٢٥٠– ٢٦٠ ، شرح الجاربردي على الشافية ، ١/١٦٣ .

الْمَقَاطع الْعَرَبيَّة ؛ فَإِنَّ النِّظَامَ اللُّغَويَّ فيهَا يَعْمَدُ إِلَى إِقْحَام صَائت قَبْليٍّ « **prosthesis** » في بدَايَة الْكَلمَة منْ خلَال تَحْقيق الْكَسْرَة في بدَايَة مَقْطَع مُسْتَحْدَث ؛ فَنَشَأَ عَنْ ذَلكَ التَّحْقيق الْهَمْزَةُ الْمَعْرُوفَةُ بهَمْزَة الْوَصْل[1]، وَهَكَذَا يَتَخَلَّصُ النِّظَامُ اللُّغَويُّ منْ هَذه البُؤَر النَّاشزَة ، وَيُخْضعُهَا لقَوَاعد التَّصْويت الْمُقَرَّرَة في النِّظَام الصَّوْتيِّ الْفَرْعيِّ في الْعَرَبيَّة ، فإذَا تَوَاتَر التَّتَابُعُ الصَّوْتيُّ وَوَقَعَتْ في دَرَج الْكَلَام اسْتُغْنيَ عَنْ هَذه التُّكَأَة الْمُعَالجَة ، أَوْ كَمَا أَسْمَاهَا « **الخليل** » سُلَّمَ اللِّسَان[2]، وَلَمْ يَتَبَقَّ منْهَا إِلَّا صُورَتُهَا الْكتَابيَّةُ في غَالب الاسْتعْمَالَات .

وَعنْدَ اشْتقَاق الأَمْر منَ الْمُضارع في نَحْو : أَذْهَبُ ، وَيَذْهَبُ ، وَنَذْهَبُ ، وَتَذْهَبُ ؛ نَحْذفُ حَرْفَ الْمُضَارَعَة ؛ فَيَتَصَدَّرُ السَّاكنُ الْبنْيَةَ عَلَى نَحْو افْترَاضيٍّ ؛ وَلذَلكَ تُسْتَجْلَبُ هَمْزَةُ الْوَصْل لتَتَصَدَّرَ هَذَا الْمَقْطَعَ الْمَبْتُورَ ؛ لتَسْلُكَ الْبنْيَةُ مَسَارَهَا الطَّبَعيَّ وَفْقَ قَوَاعد الأَدَاء الصَّوْتيِّ الْمُعْتَمَدَة .

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى الأَسْمَاء الأَعْجَميَّة الدَّخيلَة في الْعَرَبيَّة ، فَسَنَجدُ أَنَّهَا تَخْضَعُ لقَوَاعد الائْتلَاف الصَّوْتيِّ في الْعَرَبيَّة ؛ فَإِذَا كَانَ الاسْمُ الأَعْجَميُّ منْقُولًا إِلَى الْعَرَبيَّة وَمُسْتَعْمَلًا فيهَا ، وَهُوَ في لُغَته مَبْدُوءٌ بصَامتَيْن أَقْحَمَ النِّظَامُ اللُّغَويُّ في بدَايَة هَذَا الْمَقْطَعَ هَمْزَةَ مُحَقَّقَة ؛ وَأَثْبَتَهَا قَطْعًا ليُخْضعَهَا لقَوَاعد الْعَرَبيَّة الْمُقَرَّرَة في التَّعَاطي مَعَ الأَسْمَاء الأَعْجَميَّة الَّتي لَا تَكُونُ الْهَمْزَةُ في أَوَّلهَا إِلَّا قَطْعًا ، كَمَا في نَحْو : « إسْتَرَاتيجيَّة » ؛ فَأَصْلُهَا الأَعْجَميُّ : « **Strategy** » بالسِّين السَّاكنَة في بدَايَة مَقْطَعهَا الأَوَّل وَهُوَ مَا يُخَالفُ سَنَنَ الْعَرَبيَّة في الابْتدَاء ؛ فَأُقْحمَت الْهَمْزَةُ مَقْطُوعَةً « **prothetic alif** » ، وَإِنَّما وَجَبَ الْقَطْعُ فيهَا ؛ لأَنَّك حيْنَ اسْتَعْمَلْتَ هَذَا الاسْمَ في الْعَرَبيَّة وَأَجْرَيْتَهُ مُجْرَى أَسْمَائهَا ، وَجَبَ عَلَيْكَ حينَئذ أَنْ تُخْضعَهُ للْغَالب فيهَا وَهُوَ الْقَطْعُ ، كَمَا تَفْعَلُ في الأَفْعَال وَالْمَصَادر الْمَبْدُوءَة بهَمْزَة وَصْل حينَ تَنْقُلُهَا إِلَى الْعَلَميَّة ، وَكَمَا يَقُولُ « **ابن خالويه** » :" الأَلفُ الَّتي تَرَاهَا في الأَسْمَاء الأَعْجَميَّة نَحْو إِبْرَاهيمَ ، وَإِسْمَاعيلَ ، وَإِدْريسَ ، وَإِسْرَائيلَ ، فَهَذه كُلُّهَا وَمَا شَاكَلَهَا هيَ أَلفَاتُ الْقَطْع في الأَسْمَاء الأَعْجَميَّة ؛ وَذَلكَ أَنَّهَا لَمْ تَسْقُطْ في الدَّرْج ؛ فَيُحْكَمُ عَلَيْهَا بالْوَصْل ، وَلَمْ تَكُنْ فَاءً ؛ فَيُحْكَمُ عَلَيْهَا بالأَصْل"[3]، فَإِذَا كَانَ الاسْمُ الدَّخيلُ الْمُسْتَعْمَل في الْعَرَبيَّة مَبْدُوءًا في لُغَته بصَائت « **vowel** » حَقَّقَتْهُ

---

[1] انظر : فقه اللغات السامية – كارل بروكلمان : ٤١ ، و D.Jones – An outline of English phonetics : ١٥

[2] شرح الأشموني بحاشية الصبان : ٢٧٤/٣

[3] الألفات – ابن خالويه : ٧٦

بهَمْزَة قَطْع في مُسْتَهَلِّ مَقْطَعه الأَوَّل ، نَحْوُ : « إلكترُونيٌّ » ؛ أَصْلُهَا « **Electronic** » ، وَغَيْرُهَا كَثيرٌ .

وَقَدْ يَتَوَضَّع دَاخلَ الْبنْيَة قَدْر كَبيرٌ منَ التَّنَاقُض وَالْـمُـنَاوَأَة أَثْنَاءَ النُّطْق ؛ فَيَعْمَدُ النِّظَامُ اللُّغَويُّ إِلَى هَذه الأَلف الْمُقْحَمَة « **prothetic alif** » منْ أَجْل التَّغَلُّب عَلَى هَذه الْمُنَاوَأَة ، فَحينَ يُسْنَدُ الْمُضَارعُ أَو الأَمْرُ إِلَى جَمَاعَة الإِنَاث ، ثُمَّ تُلْحَقُ به نُونُ التَّوْكيد ، سَتَتَوَضَّعُ في البنْيَة ثَلَاثُ نُونَات يُسْتَثْقَلُ أَدَاؤُهَا مُتَتَابعَةً ، وَيَتَعَذَّرُ حَذْفُ أَيٍّ وَاحدَة منْهَا ؛ لأَنَّ الأُولَى وَهْيَ نُونُ النِّسْوَة لَيْسَ في اللَّفْظ مَا يَدُلُّ عَلَيْهَا عنْدَ حَذْفهَا ، وَيُفْقَدُ بحَذْف الثَّانيَة مَعْنَى التَّوْكيد ؛ وَلذَلكَ لَجَأَ النِّظَامُ اللُّغَويُّ إِلَى إِقْحَام هَذه الأَلف العَازلَة بَعْدَ نُون الإِنَاث للْفَصْل بَيْنَهَا وَبَيْنَ نُون التَّوْكيد الْمُشَدَّدَة ، كَمَا في (تَضْرِبْنَانِّ) ، و(اضْرِبْنَانِّ) ؛ فَيَتَحَوَّلُ الْمَقْطَعُ الْقَصيرُ منَ النَّوْع الأَوَّل (صَامتٌ C + حَرَكَةٌ قَصيرَةٌ V) إِلَى مَقْطَع مَفْتُوح منَ النَّوْع الثَّاني (صَامتٌ C + حَرَكَةٌ طَويلَةٌ VV) ؛ فَصَارَت الْبنْيَةُ أَطْوَعَ للِّسَان ، وَأَيْسَرَ في اللَّفْظ .

وَحينَ تَقَعُ هَاءُ الْغَائب بَعْدَ ميم جَمْع الذُّكُور السَّاكنَة ، فَإِنَّ الانْتقَالَ منَ الْميم السَّاكنَة إِلَى الْهَاء الْمُتَحَرِّكَة ثَقيلٌ جدًّا عَلَى اللِّسَان ؛ وَمنْ ثَمَّ يَلْجَأُ النِّظَامُ اللُّغَويُّ إِلَى إِقْحَام صَائت في بُؤْرَة التَّأَزُّم ؛ فَيُحَرِّكَ الْميمَ بالضَّمِّ ، ثُمَّ يُشْبعُ هَذَا الضَّمَّ فَتَتَوَلَّدُ وَاوٌ تُكَوِّنُ عَازلًا بَيْنَ الصَّوْتَيْن لتَيْسير النُّطْق ؛ فَقَالُوا : سَأَلْتُمُوهُ ، وَسَأَلْتُمُوهَا ، وَسَأَلْتُمُوهُمْ ، وَسَأَلْتُمُوهُنَّ ، وَأَمْثَلُ منْهُ حينَ تَرِدُ أَلفُ الاثْنَيْن بَعْدَ هَاء الْغَائب الْمُتَحَرِّكَة بالضَّمِّ أَو الْكَسْر ، تَتَرَكَّبُ نُقْطَةُ اسْتعْصَاء يَتَعَذَّرُ مَعَهَا التَّلَفُّظُ مَعَ الْحفَاظ عَلَى حَرَكَة الضَّمير ، في مَوْضع يَتَوَجَّبُ فيه أَنْ تُبْدَلَ حَرَكَةُ الضَّمير فَتْحَةً لمُنَاسَبَة الأَلف ، لَكنَّ النِّظَامَ اللُّغَويَّ يَتَحَاشَى ذَلكَ لئَلَّا يَلْتَبسَ ضَميرُ الاثْنَيْن بضَمير الْغَائبَة ؛ فَيَعْمَدُ إِلَى إِقْحَام ميم تَحْتَملُ الْفَتْحَةَ لمُنَاسَبَة الأَلف ، وَتَحْفَظُ لكُلٍّ منْهُمَا صُورَتَهُ وَدَلَالَتَهُ ، فَقَالُوا : سَأَلْتُهُمَا ، وَسُؤَالهمَا ، وسَأَلْتُكُمَا ، وَغَيْرَ ذَلكَ .

كَذَلكَ حينَ تُبَاشرُ يَاءُ الْمُتَكَلِّم الأَفْعَالَ ؛ فَتَتَطَلَّبُ تَمْكينَ الْكَسْر في نهَايَة الْفعْل قَبْلَهَا ، وَهْوَ وَضْعٌ يَتَأَبَّاهُ الْفعْلُ في آخره ، فَإِنَّ النِّظَامَ اللُّغَويَّ يُقْحمُ نُونَ الْوقَايَة في هَذه الْبُؤْرَة الْمُتَأَزِّمَة ليُشَتِّتَ بُؤْرَةَ التَّأَزُّم ، ويُؤَمِّنَ تَصْويتًا طَبَعيًّا للْمُتَنَافرَيْن ؛ فَقَالُوا : سَأَلَني ، وَ يَسْأَلُني ، وَكَذَلكَ يُقْحمُ هَذه النُّونَ عنْدَ ارْتبَاط أَوَاخر هَذه الأَفْعَال بالضَّمَائر ؛ فَقَالُوا : سَأَلْتَني ، بَلْ إِنَّه حينَ يُسْتَحْكَمُ التَّأَزُّم باتِّصَال أَوَاخر الأَفْعَال بالضَّمَائر ، يَعْمَدُ النِّظَامُ اللُّغَويُّ إِلَى إِقْحَامِ حَرْفَيْن لتَيْسيرِ التَّصْويتِ كَمَا في سَأَلْتُمُونِي ، وَنَحْوِهَا.

وَيَرْفُضُ النِّظَامُ اللُّغَويُّ الْتقَاءَ السَّاكنَيْن في حَشْو الْكَلمَة الْوَاحدَة لمَا يُمَثِّلُهُ منْ ثقَل وَاضح ، إذ الالْتقَاءُ هُنَا في وَسَط الْكَلمَة ، وَلَيْسَ في الْوَقْف الَّذي هُوَ مَوْضعُ تَخْفيف وَقَطْع ، إلَّا أَنَّه تَسَمَّحَ في الْتقَائهمَا حينَ تَعَذَّرَ تحْريكُ أَوَّل السَّاكنَيْن ، وَذَلكَ وَفْقَ شُرُوط مُحَدَّدَة ، وَهْيَ أَنْ يكُونَ الأَوَّلُ حَرْفَ مَدٍّ ، و الثَّاني مُدْغَمًا في مثْله ؛ كَمَا في : « دَابَّة» ، و « شَابَّة » ، و « الضَّالِّينَ » ، و « مُدْهَامَّتَان » ، و « احْمَارَّ » ، و « اصْفَارَّ » ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلكَ ، وَهْوَ مَا أَطْلَقُوا عَلَيْه « الْتقَاء السَّاكنَيْن عَلَى حَدِّهمَا » .[1]

غَيْرَ أَنَّ مَنْ جَدَّ في التَّخَلُّص منَ الْتقَاء السَّاكنَيْن أَبْدَلَهُ حَرْفًا صَامتًا ؛ يَقُولُ « **العُكبري** » تَعْليقًا عَلَى قرَاءَة « **أيُّوبَ السِّختيانيِّ** » : ﴿ **وَلَا الضَّأَلِّينَ** ﴾ [2] بالْهَمْزَة الْمَفْتُوحَة : " وَهْيَ لُغَةٌ فَاشيَةٌ في الْعَرَب في كُلِّ أَلف وَقَعَ بَعْدَهَا حَرْفٌ مُشَدَّدٌ ، نَحْوُ : «ضَالٌّ » ، وَ « دَابَّةٌ » ، وَ « جَانٌّ »"[3]، وَقَدْ قيلَ لأَيُّوبَ لمَ هَمَزْتَ ؟ " فَقَالَ : إنَّ الْمَدَّةَ الَّتي مَدَدْتُمُوهَا أَنْتُمْ ؛ لتَحْجزُوا بهَا بَيْنَ السَّاكنَيْن هيَ هَذه الْهَمْزَة الَّتي هَمَزْتُ ." [4]

فَالذَّوْقُ اللُّغَويُّ الْعَرَبيُّ يَسْتَثْقلُ مَا يُسَمَّى « بالْمَقْطَع الرَّابع » ، أَو « الْمَقْطَع الطَّويل الْمُغْلَق بحَرَكَة طَويلَة » الَّذي يَتَكَوَّنُ منْ [صَامت C + حَرَكَة طَويلَة VV + صَامت C] ، وَهْوَ الْمَقْطَعُ الَّذي لَا يُجيزُهُ النِّظَامُ اللُّغَويُّ في الْعَرَبيَّة إلَّا في أَوَاخر الْكَلمَات في حَالَة الْوَقْف عَلَيْهَا ، أَوْ في وَسَطهَا بشَرْط أَنْ يَكونَ الْمَقْطَعُ التَّالي لَهُ مَبْدُوءًا بصَامت يُمَاثلُ الصَّامتَ الَّذي خُتمَ هُوَ به ، وَهْوَ مَا أَسْمَاهُ النُّحَاةُ – كَمَا ذَكَرْنَا مُنْذُ قَليل – الْتقَاءَ السَّاكنَيْن عَلَى حَدِّهمَا ، وَمنْ ثَمَّ فَإنَّ إقْحَامَ الْهَمْز هُنَا يَقْسمُ « الْمَقْطَعَ الرَّابعَ » إلَى مَقْطَعَيْن ؛ أَوَّلُهُمَا منَ « النَّوْع الأَوَّل » ، [صَامت C + حركة قصيرة V] ، وَثَانيهُمَا منَ « النَّوْع الثَّالث » أَيْ : [صامت C + حركة قصيرة V + صامت C] .[5]

وَحينَ تَتَوَضَّعُ بُؤْرَةُ التَّأَزُّم في نهَايَة الْبنْيَة يَعْمَدُ النِّظَامُ اللُّغَويُّ إلَى إقْحَام صَوْت في نهَايَة الْكَلمَة « **Paragoge** » ، فَإذَا كَانَ الأَصْلُ في الْبنَاء هُوَ السُّكُونُ ؛

---

[1] انظر : شرح المفصل ــ موفق الدين بن يعيش : ١٢١/٩

[2] الفاتحة : ١ / ٧ ، وانظر البحر المحيط لأبي حيان ٣٠/١ ، وإعراب ثلاثين سورة لابن خالويه : ٤٥

[3] إملاء ما مَنَّ به الرحمن ــ أبو البقاء العكبري : ١٤

[4] إعراب ثلاثين سورة ــ ابن خالويه : ٤٥

[5] انظر : فصول في فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب : ١٩٤ – ١٩٥ [مكتبة الخانجي بالقاهرة ــ الطبعة الثالثة ــ ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٧ م] ، و دراسة الصوت اللغوي للدكتور أحمد مختار عمر : ٣٣٦ – ٣٣٧ [عالم الكتب ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٧٦ م .] ، ودراسات في علم اللغة ــ القسم الأول للدكتور كمال بشر : ١٩٨ [دار المعارف بمصر] ، و (في الأصوات اللغوية ــ دراسة في أصوات المد العربية) للدكتور غالب فاضل المطلبي : ٢٢٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ [من منشورات وزارة الثقافة والإعلام ــ سلسلة دراسات ٣٦٤ ، الجمهورية العراقية ١٩٨٤]

فَالقيَاسُ في كُلِّ مَبْنيٍّ أَنْ يَكُونَ سَاكِنًا ، وَمَا حُرِّكَ منْ ذَلكَ فَلعلَّة[1]، فإذَا تَوَالى في الْبنْيَة سَاكنَان تدَخَّلَ النِّظَامُ اللُّغَويُّ بإقْحَام صَائت لتَشْتيت بُؤْرَة الْاسْتعْصَاء ؛ فَفي نَحْو : « أَيْنَ » ، و « كَيْفَ » « لَيْتَ » « حَيْثُ » « مُنْذُ » ، الأَصْلُ فيهَا وَفي أَشْبَاههَا سُكُونُ أَوَاخرهَا ؛ فَاضْطُرَّ النِّظَامُ اللُّغَويُّ إلَى إقْحَام حَرَكَات مُنَاسبَة تُجَزِّئُ الْمَقْطَعَ الزَّائدَ الطُّول [صامت C + حركة V+ صامت C + صامت C] إلَى مَقْطَعَيْن ، أَوَّلُهُمَا منَ « النَّوْع الثَّالث » ، أَيْ : [صامت C + حركة قصيرة V + صامت C] ، وَ ثَانيهُمَا منَ « النَّوْع الأَوَّل » ، أَيْ : [صامت C + حركة قصيرة V] .

وَحينَ يَتَعَذَّرُ التَّبْيينُ لبَعْض حَرَكَات الإعْرَاب أَو الْبنَاء عنْدَ الْوَقْف يَعْمَدُ النِّظَامُ اللُّغَويُّ إلَى إقْحَام صَامت يُمَكِّنُ التَّصْويتَ ، فَحينَ تَحْذفُ فَاءَ اللَّفيف الْمَفْرُوق في بنْيَة الأَمْر حَمْلًا عَلَى الْمُضَارع ، وَتَحْذفُ لَامَهُ لالْتقَاء السَّاكنَيْن عنْدَ البنَاء للأَمْر ؛ فَيُصْبحُ الأَمْرُ منْ « وَعَى » : «ع » ، وَمنْ « وَفَى » : « ف » ؛ فَتَبْقَى الْبنْيَةُ عَلَى حَرْف وَاحد هُوَ عَيْنُ الكَلمَة وَحَرَكَتُهَا ، أَيْ مَقْطَعٌ وَاحدٌ [صامت C + حركة قصيرة V] وَهُوَ مَقْطَعٌ مَرْفُوضٌ في الْعَرَبيَّة عنْدَ الْوَقْف ، فإذَا وَقَفْتَ بحَذْف الْحَرَكَة ؛ ليَتَشَكَّلَ الْمَقْطَعُ منْ صَامت وَاحد فَأَنْتَ أَمَامَ بنْيَة مَقْطَعيَّة مَرْفُوضَة أَيْضًا ؛ لأَنَّ أَصْغَرَ وَحْدَة مَقْطَعيَّة في الْعَرَبيَّة تَتَكَوَّنُ منْ عُنْصرَيْن صَوْتيَّيْن في أَقَلِّ تَقْدير ، وَمنْ هُنَا يَتَدَخَّلُ النِّظَامُ اللُّغَويُّ لإصْلَاح هَذَا الْخَلَل الْمَقْطَعيِّ ؛ فَيُقْحمُ « هَاءَ السَّكْت » لتَحْملَ السُّكُونَ ، وتُمَكِّنُ الْحَرَكَةَ الَّتي كَانَتْ عَلَى شَفَا السُّقُوط ؛ وَتُصْلحَ الْبنْيَةَ الْمَقْطَعيَّةَ بتَكْوين مَقْطَع منَ النَّوْع الثَّالث [صامت C + حركة قصيرة V + صامت C] ؛ فَقَالُوا : « عهْ » ، وَ « فهْ » .

وَشَبيهٌ بذَلكَ مَايَحْدُثُ عنْدَ إضَافَة « مَا الاسْتفْهَاميَّة » في نَحْو : « مثْلُ مَا ؟ » ، وَ « مَجيءُ مَا ؟ » ، حينَ يَتَوَجَّبُ حَذْفُ أَلف « مَا الاسْتفْهَاميَّة » كَمَا يَقُولُ النُّحَاةُ [2] ؛ فَتُصْبحُ عنْدَ الْوَقْف « مثْلُ مْ ؟ » ، وَ « مَجيءُ مْ ؟ » ، باخْتزَال الصَّائت الطَّويل إلَى صَائت قَصير ، وَعنْدَ الْوَقْف يَسْقُطُ هَذَا الصَّائتُ الْقَصيرُ ؛ فَتَتَشَكَّلُ بنْيَةٌ مَقْطَعيَّةٌ مَرْفُوضَةٌ أَيْضًا ؛ فَيُقْحمُ النِّظَامُ اللُّغَويُّ « هَاءَ السَّكْت » لتَحْملَ السُّكُونَ ، وتُبْقي عَلَى الْحَرَكَة ؛ وَتُصْلحَ الْخَلَلَ الْمَقْطَعيَّ بتَكْوين مَقْطَع منَ النَّوْع الثَّالث [صامت C + حركة قصيرة V + صامت C] ؛ فَقَالُوا : « مثْلُ مَهْ ؟ » ، وَ « مَجيءُ مَهْ ؟ » .

---

[1] انظر : شرح المفصل ــ موفق الدين يعيش بن يعيش : ٨٢/٣

[2] انظر : شرح شافية ابن الحاجب : ٢٩٦/٢

وَيَبْدُو أَنَّ وُرُودَهَا مَعَ بَعْض الضَّمَائر ، كَمَا قَوْله تَعَالَى : ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴾[1]، وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيَهْ ﴾[2]، وَقَوْلُهُ : ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴾[3]، وَقَوْلُهُ : ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾[4]، لَا عَلَاقَةَ لَهُ بِالْبِنْيَة الْمَقْطَعِيَّة ؛ وإِنَّمَا لغَرَض صَوْتِيٍّ ، هُوَ تَحْقِيقُ التَّنَاسُب الصَّوْتِيِّ في الْفَوَاصل الْقُرْآنِيَّة بِتَشْكِيل مَقْطَع منَ النَّوْع الثَّالث [صامت C + حركة قصيرة V + صامت C] ، وَهُوَ الْمَقْطَعُ الْمُسْتَسَاغُ في النِّظَام الصَّوْتِيِّ لِلْعَرَبِيَّة عِنْدَ الْوَقْف .

وَقَدْ يَلْجَأُ النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ إِلَى إِقْحَام صَامت آخرَ غَيْر « هَاء السَّكْت » للتَّبْيين والدِّلَالَة عَلَى أَنَّهَا غَيْرُ سَاكنَة الأَوَاخر ؛ فَيُضَعِّفُ الْحَرْفَ الأَخيرَ وَفْقَ الشُّرُوط الْمَرْعِيَّة ، فَقَالُوا : « جَعْفَرٌ » ، وَ « يَتَوَسَّطْ » ، وَ « يُسَبِّحْ » ، وذَكَرَ « أَبُو حَيَّانَ »[5] أَنَّ « عُصْمَةَ بْنَ عُرْوَةَ » ، قَدْ رَوَى عَنْ « أَبي بَكْر بْن عَاصم » أَنَّهُ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَكُلُّ صَغير وَكَبير مُّسْتَطَرٌ ﴾[6] بتَضْعيف رَاء « مُسْتَطرٌ » في الْوَقْف[7]، وَرَوَى « أَبُو العَلَاء » عَنْ « همْيَانَ بْن قُحَافةَ » قَوْلَهُ :

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ بَدَا الأَشْعَلْ
لَاحَ كَسَيْف شَامَهُ الصَّيَّقَلْ[8]

بتَضْعيف أَوَاخرهَا بإِقْحَام صَامت يُشَكِّلُ مَعَ سَابقه مَقْطَعًا منَ النَّوْع الْخَامس [صامت C + حركة قصيرة V + صامت C + صامت C] ، بَدَلًا منَ مَقْطَع النَّوْع الثَّالث [صامت C + حركة قصيرة V + صامت C] ؛ لأَنَّ التَّضْعيفَ أَوْكَدُ منَ الرَّوْم والإِشْمَام .

---

[1] الحاقة : ٢٥

[2] الحاقة : ٢٦

[3] الحاقة : ٢٨

[4] الحاقة : ٢٩

[5] انظر : ارتشاف الضرب – أبو حيان الأندلسي : ٨١٠ [تحقيق الدكتور رجب عثمان ، والدكتور رمضان عبد التواب ــ مكتبة الخانجي – الطبعة الأولى – ١٩٩٨م]

[6] القمر : ٥٣

[7] انظر : الإقناع في القراءات السبع – ابن الباذش : ٥١١/١-٥١٢ [تحقيق د عبد المجيد قطامش – دمشق – ١٤٠٣ه]

[8] انظر : ارتشاف الضرب – أبو حيان الأندلسي : ٨١٠

خَاتِمَةُ الْبَحْث

سَعَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ إِلَى أَنْ تَضَعَ تَصَوُّرًا وَاضِحًا لِجَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ النِّظَامِ اللُّغَوِيِّ الأَسَاسِيِّ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَتُمِيطُ اللِّثَامَ عَنْ مَنْطِقِهِ الدَّاخِلِيِّ وَتَنَاسُقِ عَنَاصِرِهِ ، مُتَّخِذَةً مِنْ بِنْيَةِ الْكَلِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَادَّةً أَسَاسِيَّةً اعْتَمَدَتْ عَلَيْهَا فِي رَسْمِ الخُطُوطِ العَامَّةِ لِلآلِيَّاتِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا فِي وَضْعِ أُصُولِهِ العَامَّةِ ، وَمَلَامِحِهِ الْمُحَدِّدَةِ ، وَعَمَلِهَا فِي بِنْيَةِ الْكَلِمَةِ عَبْرَ حِقَبٍ طَوِيلَةٍ مِنَ الصَّقْلِ وَالتَّشْذِيبِ ، مِمَّا صَبَغَ مَنْطِقَهُ بِأُطُرٍ مَائِزَةٍ تَنْزِعُ إِلَى أَدَاءٍ مُخْتَزَلٍ مُكَثَّفٍ يَحْرِصُ عَلَى تَحْقِيقِ أَكْبَرِ قَدْرٍ مِنَ الْمَعَانِي بِوَسَائِلَ تَعْبِيرِيَّةٍ مُيَسَّرَةٍ ، وَبِأَقَلِّ كَمِّيَّةٍ مِنَ الجُهُودِ ، وَهُوَ مَا مَثَّلَ مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ الطَّاقَةِ التَّفْسِيرِيَّةِ فِي الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ لِلْعَرَبِيَّةِ .

وَمِنْ هُنَا فَقَدْ عَكَفْتُ فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ عَلَى تَتَبُّعِ التَّصَرُّفَاتِ الصَّوْتِيَّةِ فِي إِطَارِ الْبِنْيَةِ الصَّرْفِيَّةِ لِلْكَلِمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ بِهَدَفِ رَصْدِ الآلِيَّاتِ الَّتِي سَلَكَهَا النِّظَامُ الأَسَاسِيُّ لِلعَرَبِيَّةِ مِنْ أَجْلِ إِحْدَاثِ التَّغْيِيرَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الصَّرْفِيَّةِ وَمَوَاطِنِهَا فِي البِنْيَةِ اللُّغَوِيَّةِ لِأَلْفَاظِ العَرَبِيَّةِ وَالـمُصْطَلَحَاتِ الَّتِي تُعَبِّرُ عَنْ مَفَاهِيمِهِ اللُّغَوِيَّةِ الدَّقِيقَةِ الـمُتَمَايِزَةِ .

وَاسْتَهْدَفَتِ الدِّرَاسَةُ تَسْلِيطَ الضَّوْءِ عَلَى التَّوَجُّهَاتِ وَالإِجْرَاءَاتِ الَّتِي بَاشَرَهَا النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ فِي تَصَدِّيهِ لِلأَبْنِيَةِ الَّتِي تَوَضَّعَتْ فِيهَا بُؤَرٌ أَحْدَثَتْ ثِقَلًا فِي الأَدَاءِ أَوْ تَعَذُّرًا يَمْنَعُ التَّبْيِينَ أَوِ التَّصْوِيتَ بِمُرُونَةٍ وَتَيْسِيرٍ ، وَإِنْ كُنَّا قَدْ أَغْفَلْنَا بَعْضَ الأَلْوَانِ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ لِتَشَعُّبِهَا وَتَعَذُّرِ حَصْرِهَا ، أَوْ لِدُخُولِهَا فِي حَيِّزِ الإِبْدَالِ اللُّغَوِيِّ الَّذِي وَجَّهَ لَهُ عُلَمَاؤُنَا الْقُدَامَى الأَجِلَّاءُ جُلَّ اهْتِمَامِهِمْ ، وَأَلَّفُوا فِيهِ الْعَدِيدَ مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ الَّتِي وَصَفَتْ سُلُوكَهُ ، وَحَدَّدَتْ أَنْمَاطَهُ .

وَنُحَاوِلُ فِي السُّطُورِ الْقَلِيلَةِ الْقَادِمَةِ أَنْ نُبْرِزَ أَهَمَّ النَّتَائِجِ الَّتِي تَوَصَّلَتْ إِلَيْهَا هَذِهِ الدِّرَاسَةُ ، وَهُوَ مَا نُوجِزُهُ فِي الآتِي :

(١) أَكَّدَتِ الدِّرَاسَةُ أَنَّ جُلَّ التَّصَرُّفَاتِ وَالإِجْرَاءَاتِ الَّتِي بَاشَرَتْهَا آلِيَّاتُ النِّظَامِ اللُّغَوِيِّ يَتَجَلَّى فِيهَا الْبَحْثُ عَنِ الْتِمَاسِ الاقْتِصَادِ فِي الْجُهْدِ الْمَبْذُولِ أَثْنَاءَ التَّلَفُّظِ ، وَالْجُنُوحُ إِلَى الْمُسْتَخَفِّ وَالْعُدُولُ عَنِ الْمُسْتَثْقَلِ ، وَهُوَ مَا يُثْبِتُ صِحَّةَ الْفَرْضِيَّةِ الأَسَاسِ الَّتِي انْطَلَقَتْ مِنْهَا هَذِهِ الدِّرَاسَةُ .

(٢) أَظْهَرَتِ الدِّرَاسَةُ تَدَرُّجَ الآلِيَّاتِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ فِي تَصَرُّفَاتِهِ فِي الأَبْنِيَةِ بَدْءًا مِنْ مُحَاوَلَاتِ التَّقْرِيبِ بَيْنَ الأَصْوَاتِ فِي مَخَارِجِهَا أَوْ صِفَاتِهَا ، وَمُرُورًا بِالْمُمَاثَلَةِ ، وَالْمُخَالَفَةِ ، وَالْبَتْرِ وَالْحَذْفِ ، وَالانْزِيَاحِ ، وَانْتِهَاءً بِالزِّيَادَةِ وَالإِقْحَامِ تَبَعًا لِنَوْعِ الاسْتِعْصَاءِ وَمَوْضِعِهِ ، وَآلِيَّةِ الإِجْرَاءَاتِ الْمُعَالِجَةِ .

(٣) أَظْهَرَتِ الدِّرَاسَةُ أَنَّ بَعْضَ التَّصَرُّفَاتِ وَالْمُعَالَجَاتِ الَّتِي سَلَكَتْهَا آلِيَّاتُ النِّظَامِ اللُّغَوِيِّ قَدْ وَرَدَتْ لِعِلَلٍ غَيْرِ صَوْتِيَّةٍ ، وَإِنَّمَا لِمُتَطَلَّبَاتٍ تَرْتَبِطُ بِالْمُشَاكَلَةِ بَيْنَ الأَنْسَاقِ الْمُخْتَلِفَةِ دَاخِلَ الصِّيغَةِ الوَاحِدَةِ ، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ فِي بَعْضِ صُوَرِهِ بِطَرْدِ الْبَابِ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ .

(٤) طَرَحَتِ الدِّرَاسَةُ مُصْطَلَحًا جَدِيدًا يَرْتَبِطُ بِآلِيَّةٍ مِنْ آلِيَّاتِ التَّغْيِيرِ فِي الْبِنْيَةِ ، وَهُوَ مُصْطَلَحُ « الانْزِيَاحِ » وَهُوَ فِي تَصَرُّفَاتِهِ يَتَّسِعُ عَنْ مَفْهُومِ النَّقْلِ عِنْدَ النُّحَاةِ وَاللُّغَوِيِّينَ الْعَرَبِ القُدَمَاءِ ؛ لِيَشْمَلَ انْزِيَاحَ الصَّوَامِتِ وَالصَّوَائِتِ مَعًا ، كَمَا يُخَالِفُ تَمَامًا مَفْهُومَ الانْزِيَاحِ فِي الدَّرَاسَاتِ اللِّسَانِيَّةِ الْحَدِيثَةِ .

(٥) حَاوَلَتِ الدِّرَاسَةُ الرَّبْطَ بَيْنَ أُصُولِ النِّظَامِ اللُّغَوِيِّ فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَمَا تَضَمَّنَهُ عِلْمُ اللُّغَةِ الْحَدِيثِ مِنْ نَظَرِيَّاتٍ ؛ لِتَعُودَ بِالْحَدِيثِ الْغَرْبِيِّ إِلَى الْقَدِيمِ الْعَرَبِيِّ ؛ وَأَثْبَتَتْ فِي عَدِيدِ الْمَوَاضِعِ أَنَّ الْكَثِيرَ مِمَّا اعْتَمَدَتْهُ هَذِهِ النَّظَرِيَّاتُ هُوَ ارْتِدَادٌ وَانْعِكَاسٌ لِمَا هُوَ رَاسِخٌ مُتَأَصِّلٌ فِي الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ لِلْعَرَبِيَّةِ .

وَفِي الْخِتَامِ لَا أَمْلِكُ إِلَّا أَنْ أَقُولَ كَمَا قَالَ الْجَاحِظُ فِي « رِسَالَةِ التَّرْبِيعِ وَالتَّدْوِيرِ » : فَإِنْ كُنَّا أَصَبْنَا فَالصَّوَابَ أَرَدْنَا ، وَإِنْ أَخْطَأْنَا فَمَا ذَاكَ عَنْ فَسَادٍ مِنَ الضَّمِيرِ ، وَلَا قِلَّةِ احْتِفَالٍ بِالتَّقْصِيرِ ، وَلَعَلَّ طَبِيعَةً خَانَتْ ، أَوْ لَعَلَّ عَادَةً جَذَبَتْ ، أَوْ لَعَلَّ سَهْوًا اعْتَرَضَ ، أَوْ لَعَلَّ شُغْلًا مَنَعَ .

وَالْفَضْلُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا ، فَإِنْ خَانَنِي التَّوْفِيقُ فَحَسْبِي أَنَّنِي حَاوَلْتُ ، وَأَقُولُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ شُعَيْبٍ : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ .

ثَبَتُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

(١) إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، المسمَّى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات – تأليف الشيخ أحمد بن محمد البنا – تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

(٢) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي – د / عبد الصبور شاهين – مكتبة الخانجي بالقاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

(٣) ارتشاف الضرب – أبو حيان الأندلسي – تحقيق الدكتور رجب عثمان ، والدكتور رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي – الطبعة الأولى – ١٩٩٨م .

(٤) أسس علم اللغة – ماريو باي – ترجمة أحمد مختار عمر – منشورات كلية التربية – جامعة طرابلس – ١٩٧٣ م

(٥) الأشباه والنظائر في النحو – أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر جلال الدين السيوطي – راجعه وقدَّم له الدكتور فايز ترحيني – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

(٦) الأصوات اللغوية – الدكتور إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية – ١٩٧٥ م .

(٧) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم – الحسين بن أحمد بن خالويه – مكتبة المتنبي – القاهرة – بدون تاريخ .

(٨) إعراب القرآن –ـــ أبو جعفر النحاس – تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد – من منشورات وزارة الأوقاف بالعراق – إحياء التراث الإسلامي (٢٦) – مطبعة العاني – بغداد – ١٩٧٩ م .

(٩) الإقناع في القراءات السبع – ابن الباذش – تحقيق د عبد المجيد قطامش – دمشق – ١٤٠٣ه.

(١٠) الألسنية أحدث العلوم الإنسانية – مجلة الفكر العربي – العددان ٩/٨ – طرابلس – يناير / آذار ١٩٧٩م .

(١١) الألفات – الحسين بن أحمد بن خالويه – تحقيق علي حسين البواب – مجلة المورد / مج ١١– العراق – ١٤٠٢ه – ١٩٨٢م .

(١٢) الأمالي – ابن الشجري – حيدر آباد – الدكن – الهـــند – ١٣٤٩ هـ .

(١٣) إملاء ما مَنَّ به الرحمن – أبو البقاء العكبري – صُحِّحَ بعناية ومراجعة الناشر – دار الفكر – بيروت – لبنان – ١٩٩٣ م / ١٤١٤ هـ .

(١٤) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين – الشيخ كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد أبي سعيد الأنباري النحوي – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – دار إحياء التراث العربي – بدون تاريخ .

(١٥) الإيضاح في شرح المفصل – ابن الحاجب النحوي – تحقيق وتقديم الدكتور موسى بناي العليلي – طبعة وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالعراق – بدون تاريخ .

(١٦) البحر المحيط – أبو حيَّان الأندلسي – مطبعة السعادة – الطبعة الأولى – القاهرة–١٣٢٨هـ .

(١٧) بحوث في الاستشراق واللغة – إسماعيل أحمد عمايرة – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

(١٨) بحوث ومقالات في اللغة – الدكتور رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الثالثة – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .

(١٩) البنوية في اللسانيات – محمد الحناش – دار الرشاد الحديثة – الدار البيضاء – المغرب – الطبعة الأولى – ١٤٠١ه / ١٩٨٠م .

(٢٠) البيان في غريب إعراب القرآن – أبو البركات الأنباري – تحقيق الدكتور طه عبد الحميد – طبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر – ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

(٢١) التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث – الطيب البكوش – نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله – تونس – ١٩٧٣ م .

(٢٢) التطور اللغوي ، مظاهره وعلله وقوانينه – الدكتور رمضان عبد التواب – مطبعة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض – القاهرة – الطبعة الأولى – بدون تاريخ .

(٢٣) التطور النحوي للغة العربية – جوتلف برجشتراسر – أخرجه ، وصححه ، وعلَّق عليه الدكتور رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .

(٢٤) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك – دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي – بدون تاريخ .

(٢٥) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – عبد القادر بن عمر البغدادي – تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الثالثة – ١٩٨٩ م .

(٢٦) الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني – تحقيق الشيخ محمد علي النجار – طبعة دار الكتب المصرية – ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م .

(٢٧) دراسات في علم اللغة – القسم الأول – الدكتور كمال بشر – دار المعارف – مصر – ١٩٧٣م.

(٢٨) دراسة الصوت اللغوي – الدكتور أحمد مختار عمر – عالم الكتب – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٩٧٦ م .

(٢٩) دروس في علم الأصوات العربية – جان كانتينو – نقله إلى العربية صالح القرمادي – الجامعة التونسية – منشورات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية – ١٩٦٦م .

(٣٠) شرح شافية ابن الحاجب – الجاربردي – ضمن مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط ــ عالم الكتب – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة – ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

(٣١) شرح شافية ابن الحاجب – رضي الدين الأستراباذي – تحقيق محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

(٣٢) شرح المفصل – موفق الدين يعيش بن يعيش النحوي – مكتبة المتنبي – القاهرة – بدون ط – بدون ت .

(٣٣) شرح الملوكي في التصريف – موفق الدين يعيش بن يعيش – تحقيق فخر الدين قباوة ــ حلب – ١٩٧٣ م .

(٣٤) الصوتيات – برتيل مالمبرج – ترجمة د / محمد حلمي هليّل – القاهرة – عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية – ١٩٩٤ م .

(٣٥) علم اللغة – د / علي عبد الواحد وافي – القاهرة – ١٩٦٢ م .

(٣٦) علم اللغة العام – فرديناند دي سوسير – ترجمة يوئيل يوسف عزيز – مراجعة النص العربي – د / مالك يوسف المطلبي – دار آفاق عربية – بغداد – ١٩٨٥م .

(٣٧) فصول في فقه العربية – الدكتور رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي بالقاهرة – الطبعة الثالثة – ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

(٣٨) فقه اللغات السامية – كارل بروكلمان – ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب – مطبوعات جامعة الرياض – ١٩٧٧ م .

(٣٩) فقه العربية المقارن – رمزي منير بعلبكي – دار العلم للملايين – الطبعة الأولى – بيروت – لبنان – ١٩٩٩م .

(٤٠) في الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد العربية – الدكتور غالب فاضل المطلبي – من منشورات وزارة الثقافة والإعلام – سلسلة دراسات ٣٦٤ – الجمهورية العراقية ١٩٨٤م .

(٤١) في قواعد الساميات ، العبرية ، و السريانية ، و الحبشية مع النصوص والمقارنات – صنعة الدكتور رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م .

(٤٢) الكتاب – سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر – تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون – دار الجيل – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – ١٤١١ هـ ــ ١٩٩١ م .

(٤٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ، وحججها – أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي – تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان – مؤسسة الرسالة بيروت – الطبعة الرابعة – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

(٤٤) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة – الدكتور عبد العزيز مطر – دار المعارف – مصر – الطبعة الثانية – ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م .

(٤٥) لسان العرب – ابن منظور – تحقيق علي الكبير وآخرين – دار المعارف – القاهرة – بلا تاريخ .

(٤٦) اللغة – ج فندريس – تعريب عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص – مطبعة لجنة البيان العربي – القاهرة – ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م .

(٤٧) اللغة العربية معناها ومبناها – الدكتور تمام حسان – عالم الكتب – القاهرة – الطبعة الثالثة – ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .

(٤٨) محاضرات في الألسنية العامة – فرديناند دي سوسير – دار نعمان للثقافة – بيروت – لبنان – ١٩٨٤م .

(٤٩) المحكم والمحيط في اللغة – ابن سيدة الأندلسي – تحقيق مصطفى السقا وآخرين – القاهرة – ١٩٥٨ م .

(٥٠) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي – الدكتور رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

(٥١) المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم المعاصر – عبد الرحمن الحاج صالح ، محاضرة في ندوة (تقدم اللسانيات في الأقطار العربية) ، إبريل – ١٩٨٧ م – الرباط – هامش صفحة ٣٧٣ .

(٥٢) مشكلة الهمزة العربية – الدكتور رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

(٥٣) معاني القرآن – أبو زكرياء يحيى بن زياد الفراء – تحقيق أحمد يوسف نجاتي – الطبعة الثالثة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م

(٥٤) معجم اللغة العربية المعاصرة – الدكتور أحمد مختار عمر – المجلد الأول – عالم الكتب – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٢٩ه – ٢٠٠٨م .

(٥٥) المقتضب – أبو العباس المبرد – تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – ١٣٨٨ هـ .

(٥٦) المنصف ، شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري –ــ تحقيق إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين – طبعة مصورة عن طبعة وزارة المعارف العمومية ، إدارة إحياء التراث القديم – الطبعة الأولى – ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م.

(٥٧) من وظائف الصوت اللغوي – الدكتور أحمد كشك – مطبعة المدينة – الطبعة الأولى – ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م .

(٥٨) النشر في القراءات العشر – الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي – تحقيق علي محمد الضباع – المكتبة التجارية الكبرى – بدون تاريخ .

(٥٩) Daniel Jones , An Outline of English phonetics , Cambridge University press , seventh Ed , ١٩٨٦ .

(٦٠) Elizabeth Hume : " The indeterminacy/attestation model of metathesis " in Language , ٢٠٠٤ .

(٦١) Roger Lass : Phonology, Cambridge : Cambridge University Press, ١٩٨٤.

(٦٢) Sabatino Moscati , and others : An Introduction to Comparative Grammar of the Semitic languages: Phonology and morphology Germany , Otto Harrassowitz . ٣rd edition , ١٩٨٠ .